

ابن فتيبة

د. مجدي إبراهيم

الكتاب : ابن قتيبة / د. مجدى إبراهيم

المؤلف: إبراهيم، مجدي

النوع: علوم اللغة العربية

تصميم الغلاف: شيماء رضوان

الطبعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١٢ - نشر إلكتروني

عدد الصفحات: ١٠٨ صفحة

المقاس: ٢٤×١٧

تدمك

-١

نثر يصنع حضارة



صرح للنشر والتوزيع

المدير العام: عيود مصطفى عيود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ)

برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٠٢٤٠١٦٦)(+٢)

البريد الإلكتروني: darsarh@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.dar-sarh.com

رقم الإيداع:

التسجيل الدولي:

ديوي:

حقوق النشر محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

أدبُ الكاتب عندي .: ما له في الكُتُبِ ندُّ

ليس للكاتب منه .: إنَّ أراد العلمَ بُدُّ

أبو منصور العبدوني

المقدمة

الحمد لله الذى نبه الإنسان إلى ما فيه خيره وحذره مما فيه ضيرُهُ ، وأوضح له الطريق المستقيم لينهجه ، وأراه صرح الكمال ليلجُهُ ، فيكون فى مأمن من الفساد والخلل ، مجانِباً الخطأ والزلل ، فيعمل بالصواب ويتحلّى بالفضائل والآداب فينال الثواب ويسعد فى المآب.

أما بعد

فإن عالمنا وأديبنا العلّامة ابن قتيبة قد ألّفَ كُتُبَهُ لأهل زمانه الذين انصرف أكثرهم عن طلب الأدب وشغلوا بشهوات النفوس وفتتوا بالجدل ، ونظروا فى المنطق ، وراحوا يطعنون فى كتاب الله ، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم جهلاً وبهتاناً ، وأولعوا بالتشديق بألفاظ العلوم المنقولة عن الأعاجم ، وأهملوا النظر فى علوم الفقه والتفسير والفرائض واللغة والنحو .

ومن ثمّ تعد كتب ابن قتيبة ذخيرة من ذخائر الأدب والفقه والتفسير واللغة والنحو ، وسجلاً حافلاً للعلوم على مختلف أنواعها فلولاها لضاع الكثير من آثاره العظيمة . ويُعد ابن قتيبة أول من جمع بين مذهبى الكوفة والبصرة فى النحو والصرف ، ولا يقوم بهذا العمل إلا من أتقن المذهبين وعرف الأصول التى تُبنى عليها العلل والمقاييس .

مادة كُتُب ابن قتيبة مادة تراثية فى فترة ازدهار التأليف وعصر الريادة ، فى العصر الذى استوت فيه العلوم على سوقها، وآتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً - على حد قول أستاذنا الدكتور عبده الراجحي -

وذهبت علوم اللغة بالحظ الأوفر ، وذلك أننا لا نعرف لغة ارتبط درسها بدينها كما نعرف ارتباط العربية بالإسلام.

وراح ابن قتيبة فى ثنايا كُتبه يفسر بعضاً من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التى اختلف فى فهم معانيها ، وأشكل فهمها ، وبَيَّن أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب على مذهبها فى الإيجاز والإطناب والإخفاء والإظهار ، ثم أَوَّلَ أسماء الله الحسنى وصفاته واشتقاقهما . ولعل اقتباس ابن قتيبة من القرآن الكريم والحديث الشريف يرجع إلى نزعته الدينية . ولقد اعتنى العرب منذ القدم بالشعر اعتناءً بالغاً ، وجعلوه سجلاً لمفاخرهم ومآثرهم ، فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - : " أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية ، فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم ، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه^(١) ومن ثمَّ استشهد ابن قتيبة فى ثنايا كُتبه بالكثير من الأشعار والحكم والأمثال والأقوال المأثورة عن الأعراب الفصحاء.

^١ - تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن : ج ١ ص ١١١ .

هذا ، وقد تضمن هذا الكتاب ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية كتب ابن قتيبة وأسباب تأليفه لها ، وما تضمنته من تفسير لبعض آيات القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربى وكلام العرب الفصحاء.

أما المبحث الأول فقد ترجمت فيه لحياة ابن قتيبة ترجمة مفصلة دقيقة ، تحدثت فيها عن اسمه ونسبه ، مولده ونشأته ، خلقه ، شيوخه ، ثقافته ، مكانته العلمية ، اتصاله بالخلفاء ، أشعاره ، وفاته.

أما المبحث الثانى فقد تحدثت فيه عن آثاره ومؤلفاته وأسلوبه فى كل كتاب ألفه على حده ، ثم هدفه من تأليفه له، وبيان أهميته ، ومدى الاستفادة من مادته العلمية ، إذ إن معظم كتبه تقدم لنا المعايير الأدبية واللغوية والمقاييس الخاصة بدرجةها الإبداعية فى التعبير ، تلك التى يمكن استثمارها فى مناح علمية مختلفة ، ومن خلال ذلك يمكننا الربط بين التراث والعلوم الحديثة.

أما المبحث الثالث فعنوانه " بين أدب الكاتب وإصلاح المنطق " وفيه تصديت بالحجة والدليل لمن زعم أن كتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب ، وإصلاح المنطق كتاب بلا خطبة ، من خلال عقد مقارنة بين هذين الكتابين.

وبعد

فإنى فرائصى ترتعد إذا تناولت موضوع درس أو بحث أو كتاب خشية الخطأ - وهو من طبيعة البشر - فمن أجل ذلك ألزم نفسى وألح فى طلب التوفيق من الله .

" وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " (١).

المنوفية-أشمون فى الرابع والعشرين من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ

الموافق الأول من يونيه ٢٠٠٥م

المؤلف

د: مجدى إبراهيم محمد إبراهيم

المبحث الأول

ترجمة ابن قتيبة

أولاً ابن قتيبة " اسمه ونسبه " :

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ^(١) الدِّينَوْرِي، البغدادي ، الكوفي ، النحوي ، اللغوي ، كان فاضلاً ثقة ، سكن بغداد ، وأقام بالدنيور مدة قاضياً ، فنسب إليها وقيل ولد ببغداد ، وقيل بالكوفة ، أما نسبه إلى المروزي فلأن أباه من مرو الروز ، وأما نسبه إلى البغدادي، فإنه ولد فيها على رأى بعضهم أو نزل بها" (٢) .

وله ألقاب أخرى ، ففي اللسان : قال الأزهرى ، ذهب الليث إلى أن ابن قتيبة مأخوذ من القَتَب وقال الأصمعي: "قَتَبُ البعير مذكر ولا يؤنث، ويقال له القَتَبُ وقال ابن سيدة : القَتَبُ والقَتَبُ إكاف البعير ، هو الإكاف الصغير الذى على قدر سنام البعير والجمع أقتاب ، وهى القَتَبُ بالهاء وتصغيرها قُتَيْبَة ، وقُتَيْبَة اسم رجل منها ، والنسبة إلى قُتَيْبَى وقيل القَتَبُ ما تحوَّى من البطن

١- البغدادي ، تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠ ، وأبو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين: ص ٣٦ وما بعدها ، والسيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة: ج ٢ ص ٦٣ وما بعدها ، والذهبي ، تذكرة الحفاظ: ج ٢ ص ١٨٧ ، وابن النديم ، الفهرست : ص ١١٥ وما بعدها ، والقفطى ، إنباه الرواة على أنباء النحاة : ج ٢ ص ١٤٣ ، والعسقلانى ، لسان الميزان: ج ٣ ص ٣٥٧ : ٣٥٩ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان: ج ٣ ص ٢٤ وما بعدها .

٢- ياقوت الحموى ، معجم البلدان: ج ٢ ص ٥٤٥ ، والسمعاني ، الأنساب : ص ٤٤٣ ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان: ج ٣/ ٤٤ .

، يعنى استدار ، وهو الحوايا ، وجمعها أقتاب ، قال الأصمعى :
واحدھا قَتْبَة ، قال وبه سمى الرجل قتيبة ، وهو تصغيرها...^(١).

ونحن إذا نظرنا إلى اسمى " مسلم ، وقتيبة " رأينا أنهما
يدلان بوضوح على أنهما مسلمان مستعربان فى أوائل القرن الثانى
الهجرى ^(٢) ويقال : إنَّ هذين الاسمين ، مسلماً وقتيبة ، يقترنان
بالقائد العربى " قتيبة ابن مسلم الباهلى " الذى تولى حكم خراسان
بعد يزيد بن المهلب بن أبى صفرة، والذى أغرى الجد الثانى لابن
قتيبة أن يسميه بهذا الاسم إعجاباً بهذا القائد العربى وتيمناً به^(٣).

وأغفلت المصادر التاريخية وكتب التراجم ذكر والده، ولعل
مرجع ذلك يعود إلى أنه لم يكن ذا شأن اجتماعى ، ولم تهتم -
كذلك - بالحديث عن جده سوى أنها أشارت إلى أنه من مَرَوِ
العظمى ، أى مرو شاهجان من أعمال " خراسان " ^(٤)

ونحن لا نعرف شيئاً عن طفولته ، إذ لم تتحدث المصادر
عنها ولكن بعضها يشير إلى أنه نشأ بعد انتهاء مرحلة الطفولة فى
الكوفة ^(٥)

١- ابن منظور الإفريقى ، لسان العرب ، مادة قتب: ج ٢ ص ١٥٣ وما بعدها

٢ - د: إسحق موسى الحسينى " The life and works of ibn qutaiba " p: ٦ " حياة ابن قتيبة وأعماله
" ترجمه الى العربية هاشم ياغى .

٣ - ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ج ٣ ص ١٤٩ .

٤- ياقوت الحموى ، معجم البلدان: ج ٥ ص ١١٢ وما بعدها .

٥- ابن الأنبارى ، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء: ص ٢٠٩ ، وابن النديم ، الفهرست : ص ١١٥ ، وابن
الأثير ، الكامل فى التاريخ : ج ٧ ص ٤٣٨ .

ثانياً مولده ونشأته :

لم يهتم كثير من المؤرخين بسنة ولادته ، لأن الإنسان يولد ولا يتكهن الناس بمصيره فى مستقبل الأيام ، أما الذين اهتموا بمولده فهم: ابن خلكان ، وابن كثير ، والقفطى ، والسيوطى ، ويجمعون على أنه ولد فى مستهل رجب بالكوفة سنة عشرة ومائتين من الهجرة ^(١) بيد أن بعض المحدثين تردد فى قبول هذه السنة " ٢١٣ هـ " تاريخاً لميلاده لأن ابن خلكان - وهو أول مترجم له - لم يعتمد على رواية سابقة أو مصدر قديم. ^(٢)

وقد اختلف المؤرخون فى موطن ولادته ، ذهب فريق منهم إلى أنه ولد بالكوفة كابن الأنبارى ، وابن النديم ، وابن الأثير ^(٣).

وفريق آخر ذهب إلى أنه ولد فى بغداد كالسمعانى ، والقفطى ، والبغدادى ، والموسوى ^(٤) ونحن نرجح أنه ولد فى الكوفة تلك البلدة التى أقام أبوه فيها ، ونشأ هو فيها ، ثم سافر فيما بعد إلى بغداد ، وعرف فيها ، ثم إلى دینور ، ومما يؤيد ذلك أن من ذكر أنه ولد فى الكوفة أسبق من غيره كابن الأنبارى ، وابن

١- ابن كثير ، البداية والنهاية : ج ١١ ص ٤٨ ، والقفطى ، إنباه الرواة : ج ٢ ص ٢٤٧ ، والسيوطى ، بغية الوعاة : ج ٢ ص ٦٤.

٢- د: إسحق موسى الحسينى ، ابن قتية حياته وأعماله : ص ١٠

٣- ابن الأنبارى ، نزهة الألباء: ص ٢٠٩ ، وابن النديم ، الفهرست: ص ١١٥

٤- القفطى ، إنباه الرواة: ج ٢ ص ١٤٣ ، والسمعانى ، الأنساب : ص ٤٤٣ ، والبغدادى ، تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠.

الأثير ، وابن النديم ، ولأن بعض الثقافات ذكر أنه نزل بغداد وسكن بها ، مثل صاحب مرآة الجنان ^(١).

ونحن لا نعرف شيئاً عن طفولته ، إذ لم نتحدث المصادر عنها ، ولكن بعد أن شب عن الطوق انتقل إلى بغداد ، وتعلم على يد كوكبة من علماء عصره ، وأنه انكب على دراسة العلوم فى مختلف مجالاتها فهماً ودرساً وتحصيلاً ، أخذ علوم النحو واللغة والحديث والفقه والتفسير والأدب والأخبار عن جلة علماء عصره . ثم إنه بعد أن ذاع صيته فى الآفاق واشتهر أمره ، كان ذلك سبباً فى توليته القضاء فى مدينة " دینور " ^(٢) لكنه سرعان ما ترك الوظيفة لإحساسه بأن مثل هذه الوظائف تجعل الإنسان لا خلاق له حيث يتصف بالمنفاق ، وما كان بالمنافق ، ولم يتقرب من سلطان أو حاكم ، ولعل اعتداده بشخصيته هو الذى دفعه إلى ترك الوظيفة ، فعاد إلى التدريس ، وعكف على التصنيف ، وقرأ كتبه على طلابه حتى وفاته .

ثالثاً خلقه :

كان ابن قتيبة يتحلى بالأخلاق الرفيعة والسجايا الحميدة، ويرى أنهما ضروريان لطالب العلم يجب التحلى بهما قبل تحصيل

١- الياقعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان: ج ٢ ص ١١٩ وما بعدها .

٢- الدينور : بلدة من بلاد الجبل قرب " قرمسين " ينسب إليها جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث والتفسير ، منهم ابن قتيبة .

العلوم ، فهو يقول فى مقدمته لأدب الكاتب : " ونحن نستحب لمن قَبِلَ عنا ، وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة ، وصناعاته عن شَيْنِ الكذب " (١) وكان يهجر القول الفاحش ، فيقول : " وأما الشباب وشم السلف وذكر الأعراض بكبير الفواحش ، فمما لا نرضاه لخساس العبيد وصغار الولدان " (٢)

ثم نراه يختم المقدمة بالحث على ترويض النفس على كريم الخصال وتجميلها بالتواضع وحب الحق ، يقول : " فمن تكاملت له هذه الأدوات ، وأمهده الله بآداب النفس - من العفاف ، والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق ، وسكون الطائر ، وخفض الجناح - فهذا المنتهى فى الفضل ، العالى فى ذرى المجد ، الحاوى قصب السبق ، الفائز بخير الدارين ، إن شاء الله تعالى " (٣) وكان التواضع من أبرز خلقه ، فهو لا يدعى لنفسه شيئاً ليس له ، ولا يستعلى على غيره ، ولا يتورع من أن يأخذ العلم حتى عن أخس الناس ، يقول : " اعلم أنا لم نزل نتلقط هذه الأحاديث فى الحداثة والاكتهال عمن هو فوقنا فى السن والمعرفة ، وعن جلسائنا وإخواننا ، ومن كتب الأعاجم وسيرهم ، وعمن هو دوننا ، غير

١- مقدمة أدب الكاتب : ص ١١ .

٢- المصدر السابق : ص ١٢ .

٣- المصدر السابق : ص ١٦ .

مستكفين أن نأخذ عن الحديث سنا لحدثه ، ولا عن الصغير قدراً
لخساسته " (١) .

وصفة القول أن ابن قتيبة كان مثلاً أعلى للخلق القويم،
والتواضع الجم ، والعلم الغزير المتين.

رابعاً شيوخه :

لقد تعلم ابن قتيبة على يد كوكبة من علماء عصره أمثال أبي
حاتم السجستاني ، وإسحق بن راهويه ، والزيادى وغيرهم ...
وهؤلاء العلماء من أساطين اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير
والحديث ، استفاد منهم ابن قتيبة - بلا شك - ولسنا هنا بصدد
حصرهم ، ولكننا نشير إلى أكثرهم تأثيراً فى نفسه وعقله ، وأقواهم
فعلاً فى حياته ، أو من كانت ملازمته له أكثر، وفيما يلى قائمة
مختصرة بأسماء شيوخه المشهورين :

- ١- سهل بن محمد ، أبو حاتم السجستاني ت "٢٤٨" هـ أو "٢٥٥"
هـ النحوى ، اللغوى ، روى علم سيبويه عن الأخفش وروى
عنه أنه كان يكتب عن الأصمعى كل شئ يلفظ به من فوائد
العلم (٢) وكان أبو حاتم إماماً فى اللغة والنحو والعروض
والقراءات ، صادق الرواية ، اشتغل بالحديث ، وكتب كثيراً

١- ابن قتيبة ، مقدمة عيون الأخبار .

٢- أبو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين: ص ١٣٠ : ١٣٢ ، وابن الأنبارى ، نزهة الألباء : من ص

منه عن ثقات ^(١) ومن كتبه التذكير والتأنيث ، والأضداد ،
قرأهما ابن قتيبة.

ويمكننا أن نقول أن ابن قتيبة تأثر به من الناحية اللغوية،
فألف كتاب تلقين المتعلم من النحو، وكتاب أدب الكاتب،
وغيرهما.....

٢- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب التميمي ، الحنظلي ،
المروزي ، المعروف بابن راهويه (١٦١ هـ - ٢٣٨ هـ) قال
ابن تيمية : " كان ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد ، وإسحاق بن
راهويه " ^(٢) .

تأثر به ابن قتيبة من ناحية اشتغاله بتفسير القرآن الكريم،
فألف كتابيه غريب القرآن وتأويل مشكل القرآن ، وتأثر به كذلك
من ناحية اشتغاله بالحديث فألف كتابيه تأويل مختلف الحديث ،
وغريب الحديث .

٣- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، كان عالماً بالأدب ،
بليغاً، مصنفاً في فنون متنوعة (ت ٢٥٥ هـ أو ٢٥٤ هـ) ^(٣).

تأثر به ابن قتيبة من ناحية استعانتة بالفكاهة والمرح كي
يبعد عن القارئ الملل والسآمة ، وهذا واضح في كتابه " عيون

١- ابن النديم ، الفهرست : ص ٥٨ ، والسيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ج ٢ ص ٤٠٨ .

٢- ابن تيمية ، تفسير سورة الإخلاص : ص ٨٦ .

٣- ابن الأثير ، نزهة الألباء : من ص ١٩٢ : ص ١٩٥ .

الأخبار " حيث يقول فى مقدمته : " ولم أخله مع ذلك من نادرة طريفة ، وفطنة لطيفة ، وكلمة عجيبة وأخرى مضحكة لأروح بذلك عن القارئ من كد الجد وإتعب الحق" (١).

٤- إبراهيم بن سفيان بن سليمان ، أبو إسحاق الزيادى (ت ٢٤٩هـ) كان نحويًا، لغويًا راويًا للأخبار ، قرأ على سيبويه كتابه، وروى عن أبى عبيدة والأصمعى (٢)

ويمكننا القول أن ابن قتيبة تأثر بالزيادى ، فأخذ عنه اللغة والنحو ، نظراً لأن الزيادى تتلمذ على يد سيبويه والأصمعى وأبى عبيدة .

٥- العباس بن الفرج ، أبو الفضل الرياشى ، اللغوى النحوى ، كان عالماً باللغة والشعر كثير الرواية عن الأصمعى ، أخذ عن أبى عبيدة ، والمبرد ، وابن دريد، وكان ضليعاً فى النحو واللغة ، قرأ النحو على المازنى، وقرأ عليه المازنى اللغة (٣).

٦- الكسائى " أبو الحسن على بن حمزة الكسائى (ت ١٨٩ هـ) تعلم على يديه قراءة القرآن الكريم ، وذلك لأن الكسائى كان من قراء القرآن الكريم.

١- ابن قتيبة ، مقدمة عيون الأخبار .

٢- ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ج ١ ص ١٩٩ وما بعدها.

٣- القفطى ، إنباه الرواة: ج ٢ ص ١٦١ ، وأبو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين : ص ١٣٣ وما بعدها .

٧- أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت " ت ٢٤٤ هـ " كان عالماً بنحو الكوفيين ، وعلم القرآن الكريم ^(١) تأثر به ابن قتيبة من ناحية اشتغاله باللغة والنحو .

ونخلص مما سبق أن ابن قتيبة يعد من أكابر علماء اللغة العربية الذين أخذوا علومهم عن جلة شيوخ العربية ، واللغة ، وعلم القرآن الكريم والشعر العربى .

هؤلاء هم أهم شيوخ ابن قتيبة وأشهرهم ، الذين تتلمذ على أيديهم وهناك عدد آخر أقل منهم شهرة لا يتسع المجال لذكرهم .

خامساً ثقافته :

كان ابن قتيبة يتبارى فى التنقيب عن اللغة الفصحى من مظانها ، ولهذا كان يشد الرحال أحياناً إلى البادية ليلتقى بالأعراب الفصحاء ، ويأخذ عنهم اللغة مشافهة .

وكان لثقافة العصر الذى عاش فيه أثر كبير فيه ، فقد أتقن المعارف المحيطة به من عربية وفارسية ويونانية وهندية ونبطية ، فاكسب تلك العقلية المنظمة التى جعلت كتبه تتسم بطابع الاتزان ، بالرغم من كثرة المعارف والعلوم التى تحدث عنها ، فهو عندما يتناول موضوعاً يجمع كل عناصره فى ترتيب وتنسيق .

ويذكر الدكتور الطاهر مكي أنه تزود وهو فى عنفوان شبابه بعلوم الأمم الأخرى وآدابها ، فكانت زاده ، كما قرأ الفلسفة اليونانية ، وبخاصة فلسفة أرسطو ، وبالرغم أنه كان من الفرس الموالى ، كان دائماً يدافع عن الإسلام والعربية ، وتتنحى العنصرية جانباً ، ولم يتعصب للفرس ، وكثيراً ما آلمته هذه النزعات الطائفية التى كانت تسىء للإسلام فجعل فكره سلاحاً للدفاع عنه ^(١).

يضاف إلى هذا أنه كان عالماً باللغة والنحو والشعر ، والحديث ، والتفسير ، والقرآن الكريم ، متقناً لكل هذه العلوم ، يقول عنه الحافظ الذهبي : " إنه من أوعية العلم " ^(٢).

ولعل حب العلم كان من أبرز صفات ابن قتيبة ، الذى عشق هذا المضمار منذ نعومة أظفاره ، يقول عن نفسه : " كنت فى عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم.... " ^(٣) .

ولم يقتصر ابن قتيبة فى دراسته على العلوم العربية ، وإنما درس العلوم الأجنبية وحنَّها ، بخاصة الفارسية ، كان على دراية تامة بها ، ومما يعضد هذا الكلام ويقويه ، أنه عقد فى كتابه " أدب الكاتب " باباً بعنوان " ما تكلم به العامة من الكلام الأعجمى " ^(٤)

١- د: الطاهر مكي ، دراسة فى مصادر الأدب : ص ١٧٨ .

٢- الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ج ٢ ص ١٨٧

٣- ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث : ص ٧٤ .

٤- أدب الكاتب : من ص ٣٨٣ إلى ص ٣٩١

سرد فيه العديد من الكلمات الأعجمية، وبَيَّنَ أصلها ، وهو كذلك لم يقف بالعلم عند حد معين ، فقد عرف شيئاً عن علم الرى ، ووسائله كالقناطر والجسور والدوالى والنواعير^(١). ولم يكن ابن قتيبة بعيداً عن التيارات الفكرية العصرية، ولذلك كان كتابه الموسوم "الرد على المشبهة".

سادساً مكانته العلمية :

لا شك أن تنوع المعارف والعلوم عند ابن قتيبة كانت من أقوى الأسباب التى أهلتها لى يحتل مكانة علمية رفيعة ، ودليلاً على عظم قدره ، وعلو كعبه فى اللغة والنحو ، أنه ألف كتابى "أدب الكاتب" و "تلقين المتعلم من النحو " ، وغيرهما

ويعد ابن قتيبة أول من جمع بين مذهبى الكوفة والبصرة فى النحو والصرف ، ولا يقوم بهذا العمل إلا من أتقن المذهبين، وعرف الأصول التى تبنى عليها العلل والمقاييس عند المدرستين ... "إلا أن ابن قتيبة خلط عليه بحكايات عن الكوفيين، لم يكن يأخذها عن ثقات ، وكان يتسرع فى أشياء لا يقوم بها نحو تعرضه لتأليفه كتاباً فى النحو ...^(٢) ولكننا نرى - كما يقول ابن تيمية نقلاً عن صاحب التحديث بمناقب أهل الحديث - أنه أحد الأعلام والأئمة والعلماء الفضلاء ، وأجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً ... وكان

١- مقدمة أدب الكاتب : ص ١٠

٢- مراتب النحويين : ص ١٣٧

أهل المغرب يعظمونه ، ويقولون من استجاز الواقعة في ابن قتيبة
يتهم بالزندقة ، ويقولون كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير
فيه ، قلت ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة ، فإنه خطيب
السنة، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة ^(١) وقال عنه القفطي : "
وكان صادقاً فيما يرويه ، عالماً باللغة والنحو ، وغريب القرآن
ومعانيه ، والشعر والفقه ، كثير التصنيف والتأليف، وكتبه بالجبل
مرغوب فيها " ^(٢) وقال عنه ابن الأنباري : " كان فاضلاً في اللغة
والنحو والشعر متقناً في العلوم ^(٣) وقال عنه مسلم بن قاسم : " كان
ابن قتيبة لغوياً ، كثير التأليف ، عالماً بالتصنيف ، صدوقاً من أهل
السنة " ^(٤) وقال عنه ابن خلكان : " كان فاضلاً ثقة ، وتصانيفه
كلها مفيدة ^(٥) وقال الخطيب البغدادي عنه : " كان ثقة دَيِّناً ، فاضلاً
، وهو صاحب التصانيف المشهورة ، والكتب المعروفة " ^(٦).

ولقد شارك ابن قتيبة في محنة خلق القرآن، وكان له رأيه
الخاص، كما شارك في فكرة المشبهة والمجسمة، وكان له رأيه،
كما شارك في الخلاف النحوي بين مدرستي الكوفة والبصرة،
وجعل بينهما مدرسة ثالثة في بغداد كان هو راعيها، كما شارك في

١- تفسير سورة الإخلاص : ص ١٣٠.

٢- القفطي ، إنباه الرواة: ج ٢ ص ١٤٧

٣- ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث : ص ٧٤.

٤- العسقلاني ، لسان الميزان : ج ٣ ص ٣٥٨

٥- وفيات الأعيان : ج ٣ ص ٤٢.

٦- تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠

الرد على الشعوبية. كل ذلك أدى إلى استهدافه ومحاولة إثارة الفتن حوله.

كما كان ابن قتيبة ذا صفات حميدة ، فقد كان كريماً بعلمه ، سمحاً في اقراءه الطلاب كتبه ، ولم يؤثر عنه أنه حبسها عن طلابها حتى يقبض أجره ، كما أثر عن قرينه أبي العباس المبرد " ت ٢٨٥ هـ (١) .

ونخلص مما سبق أن ابن قتيبة كان إماماً من أئمة اللغة وشيخاً عظيماً من شيوخ العربية .

سابعاً اتصاله بالخلفاء :

لم يكن ابن قتيبة له اتصال وثيق بالخلفاء ، أو المناصب المهمة في الدولة ، اللهم إلا توليته القضاء في مدينة دِينَوْر فترة ، وكان هذا العمل من أهم الأسباب التي جعلت له علاقة بوزير الخليفة المتوكل والمعتمد (عبيد الله ابن يحيى بن خاقان) الذي تولى الوزارة من سنة ٢٣٦ هـ إلى سنة ٢٥٦ هـ ، والذي توفي سنة ٢٦٣ هـ ، ومما يؤيد هذه العلاقة ، أنه أَلَفَ كتاب "أدب الكتاب" وأهداه لهذا الوزير ، وأحسن صلته ، واصطنعه ، وقدمه للمتوكل ، وأحسن الثناء عليه عنده (٢).

١- مراتب النحويين : ص ١٣٧

٢- مقدمة أدب الكاتب هامش ص ٥ ، وما قبلها

ومعنى هذا أن العلاقة بينهما لم تكن إلا علاقة علمية، لأنه أهداه كتابه، فأثنى عليه ، وأشار إلى أنه صَنَّفَه استجابة لطلبه ، كما أنه لم يكن من خاصة الوزير والمقربين إليه ، لأنه لم يشر إلى ذلك فى كتبه الأخرى .

والذى نرجحه أنه ترك وظيفة القضاء فى مدينة دِيْنُورَ ، لإحساسه بأن هذه الوظيفة تجعل الإنسان لاخلق له حيث يتصف بالنفاق ، ولعل اعتداده بشخصيته هو الذى دفعه إلى ترك الوظيفة ، فعاد إلى التدريس ، وعكف على التصنيف ، وقرأ كتبه على طلابه حتى وفاته .

ثامناً أشعاره :

لم يعرف عن ابن قتيبة أنه نظم شعراً، لكننا رأينا أنه ارتجل بيتاً واحداً فى كتابه عيون الأخبار ، يقول ^(١):

لك الحق أنْ تَعْتَبَ عَلَى لَأْنَى . جَفَوْتُ وَإِما تَعْتَفِرْ فلك الفضل

لقد أورد ابن قتيبة هذا البيت فى عيون الأخبار لكاآب، اعتذر له، قائلاً : وحضرنى هذا البيت على ارتجال والذى نرجحه أن ابن قتيبة هو القائل ، ويبدو أنه يعاتب صديقاً له ، كان قد ابتعد عنه فترة من الزمن .

هذا وقد ذكر ابن قاضي شهبة في طبقاته ، أن ابن قتيبة نظم
ثلاثة أبيات في الغزل هي: (١)

يا من مودته بالعيّا .: ن فإن غاب كانت مع الغائب

يا من رضي لي من وده .: بفعل امرئ قاطع قاضب

بأية جُرمٍ قد أقصيتني .: وألقيت حبلِي على غاربي

ونحن نرى أن هذه الأبيات ، لا تصدر على لسانه ، إذ إنه
كان مثلاً أعلى للأخلاق الرفيعة ، والسجايا الحميدة ، والعفاف ،
والحلم ، والصبر ، والتواضع للحق .

تاسعاً وفاته :

اهتم المؤرخون والمترجمون الذين تعرضوا لابن قتيبة بذكر سنة وفاته - هذا شأنهم مع أساطين العلماء ، لا يهتمون بمولدهم ، لأنهم لا يتوقعون ما سيكون من أمرهم ، ولكن بعد أن حظى بالشهرة ، اهتم الناس به، ورصدوا نشاطه في خدمة العلم ، وأرخوا لحياته ووفاته .

وحين نبحت عن تاريخ وفاته نجد أن الخلط والاضطراب يسودان المصادر القديمة في تحديد وفاته ، قال بعضها إنه توفي سنة " ٢٧٠ هـ " وقال آخرون إنه توفي سنة " ٢٧٦ هـ " وهناك قلة قليلة من العلماء ذكروا أنه توفي سنة " ٢٧١ هـ " (١)

والذي نرجحه أنه ظل يقرأ كتبه ببغداد على تلاميذه، إلى أن فاضت روحه إلى بارئها أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين (٢) ومما يؤيد هذا أن ابن الأنباري نقل عن ابن المنادي ، عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد ابن بشير الضائع - أحد تلاميذ ابن قتيبة - أن وفاته كانت في أول ليلة من رجب سنة " ٢٧٦ هـ " وينقل الخطيب البغدادي رواية ابن الأنباري السابقة ، ورواية أخرى تذكر أنه توفي سنة " ٢٧٠ هـ " بلا ترجيح بينهما ، بيد أن ابن خلكان ذكر

١- الفهرست : ص ١١٥ ، وتاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧١ ، ونزهة الألباء : ص ٢١٠ ، وإنباه الرواة :

ج ٢ ص ١٤٢ ، وبغية الوعاة : ج ٢ ص ٦٤

٢- هذا هو القول الراجح الذي أورده كثير من المؤرخين .

الروائيتين السابقتين ، وأضاف إليهما رواية أخرى هي سنة " ٢٧١هـ " ثم يرجح سنة " ٢٧٦هـ " (١).

وسنحاول مناقشة هذه الأقوال جميعها ، كي نقف من بينها على الرأى الراجح.

١- رحل القاسم بن أصبع البيانى - أحد تلاميذ ابن قتيبة فى بغداد - سنة " ٢٤٧ هـ : ٣٤٠ هـ " إلى بلدة تسمى بيانة - وهى بلدة أندلسية بينها وبين قرطبة ثلاثون ميلاً - إلى بلاد الشرق سنة " ٢٧٤ هـ " ليأخذ العلم عن جماعة من العلماء ، كان من بينهم ابن قتيبة.

٢- ذكر إبراهيم بن محمد بشير الصائغ - وهو من تلاميذ ابن قتيبة - أن وفاته كانت سنة ٢٧٦ هـ (٢) .

٣- ذكر الزبيدى أنه توفى سنة ٢٧٦ هـ ، وهو من أسبق المترجمين له (٣) .

ونستنتج مما سبق أن سنتى " ٢٧٤ هـ ، ٢٧٥ هـ " لم تردا قط فى سنوات وفاته عند أحد من المؤرخين ، وبناء على هذا فالمرجح أنه توفى سنة ٢٧٦ هـ .

١ - إنباه الرواة : ١٤٣/٢ ، الفهرست : ص ١١٥ ، تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧١ ، نزهة الألباء : ص

٢١٠ ، وابن الأثير ، الكامل : ج ٧ ص ٤٣٨

٢- د. الحسينى ، حياة ابن قتيبة وأعماله : ص ١٤ .

٣- المصدر السابق : ص ١٤ ، ود: عبد الحميد سند الجندى ، ابن قتيبة العالم الناقد الأديب : ص ١٠٠ .

أما الأسباب التي أدت إلى وفاته ، فقد ذكرها ابن المنادى في روايتين:

الأولى : روى عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ ، وهى " أن ابن قتيبة أكل هريسة ، فأصاب حرارة ، ثم صاح صيحة شديدة ، ثم أغمى عليه إلى وقت صلاة الظهر ، ثم اضطرب ساعة ، ثم هدأ ، فمزال يتشهد إلى وقت السحر ، ثم مات " (١).

الثانية : قال محمد بن عبد الواحد بن محمد بن العباس ، قال : قرئ على ابن المنادى وأنا أسمع ، قال: ومات عبد الله بن مسلم بن قتيبة صاحب التصانيف فجأة ، صاح صيحة سمعت من بعد ، ثم أغمى عليه ومات (٢).

من خلال هاتين الروايتين ، تبين أنه مات فجأة ، حيث صاح صيحة شديدة ، وذلك بعد أن أكل هريسة .

وقد اعتقدنا أن الهريسة هى الأكلة المعروفة لدينا فمات لفسادها ، ولكن أخبرنا أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب أن الهريسة فى البلاد العربية - يقصد الجمهورية الليبية - تعنى الشطة الحريفة . ومما يؤيد هذا أنه عرض على أستاذنا فى إحدى رحلاته

١- تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠ ، الفهرست : ص ٨٦ ، نزهة الألباء : ص ٢١٠ ، ولسان الميزان : ج ٣ ص ٣٥٨ .

٢- تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠ .

من أحد تلاميذه سيطرة من الهريسة معتقداً نفس ما اعتقدناه ، من
أنها تعنى أحد أنواع الحلوى فإذا بها مملوءة بالشطة.

المبحث الثانى

آثاره ومؤلفاته (رؤية نقدية)

لقد ترك لنا ابن قتيبة ثروة كبيرة من المؤلفات فى اللغة والنحو والحديث والتفسير والفقه والشعر ، كلها تهدف إلى التعليم والإفادة ، وكلها مؤلفات نفيسة أثرى بها المكتبة العربية ، قال ابن تيمية نقلاً عن صاحب التحديث بمناقب الحديث : إن لابن قتيبة زهاء ثلاثمائة مصنف ^(١) وقال آخرون : "وله مصنفات كثيرة جداً رأيت فهرسها ، ونسيت عددها ، وأظنها تزيد على ستين مصنفًا فى أنواع العلوم ، وقيل إنها ثلاثة وثلاثون ، ونشك فى الرقم الأول "ثلاثمائة" ويبدو أن هؤلاء خلطوا بين عناوين الكتب والأبواب التى تشملها بعض الكتب ^(٢)

ويكفى أن نشير إلى هذه المؤلفات ، موردين نبذة يسيرة عن كل مؤلف ألفه ابن قتيبة بقدر ما يتسع له المقام وبحسب قيمته العلمية .

١ - أدب الكاتب :

حين نذكر ابن قتيبة فإن الذهن ينصرف إلى كتابه "أدب الكاتب" والسر فى ذلك يرجع إلى ما نبه إليه صاحب كشف

١- ابن تيمية ، تفسير سورة الإخلاص : ص ١٣٠

٢- د: الظاهر مكي ، دراسة فى مصادر الأدب : ص ١٧٨ وما بعدها .

الظنون قائلاً : إنه كتاب جزيل النفع ، قد حوى من كل شئ أحسنه " (١) وقد عده ابن خلكان فى مقدمته من دواوين الأدب الأربعة ، يقول : " وسمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهى " أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها " (٢)

هذا وقد جاء الكتاب مبيناً على مقدمة وأربعة أبواب، سُمى ابن قتيبة كل باب منها كتاباً .

المقدمة: وتحدث فيها عن كتاب الدواوين وغيرهم، ممن يظنون بأنفسهم العلم ، وهم جهلاء ، ومن ثم أنبرى ابن قتيبة يدافع عن اللغة الفصحى ، تلك التى اضطرب حبل نظامها، واختل توازنها ، وتسرب إليها اللحن والخطأ والانحراف لا على السنة العامة فحسب ، بل على السنة الخاصة كذلك ، أمثال المتقفين وكتاب الدواوين والولاة والوزراء وغيرهم...

وراح ابن قتيبة فى المقدمة كذلك يسخط على هؤلاء الكتاب ، مُنبِّهاً على الصفات التى يجب توافرها فيهم ، وهى أن يكونوا

١- حاجى خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : ج ١ ص ٧٣ .

٢- مقدمة شرح أدب الكاتب : ص ٥ ، والاقتضاب : ج ١ ص ١٨ وما بعدها ، وابن خلدون ، المقدمة :

مُلمين باللغة والنحو والأدب والفقه وعلوم القرآن والحديث ، وأن يتجنبوا الألفاظ الفاحشة في كلامهم ، وَيَدْعُوا التَّعْيِيرَ والتَّعْيِيبَ ، ويبتعدون عن الألفاظ الوعرة التي تحتاج إلى جهد ومشقة حين فهم معانيها ، وعليهم أن يعرفوا شيئاً عن علم المساحة والموازين والمقاييس ودوران الشمس ومطالع النجوم ، وأن يكون كلامهم مطابقاً لمقتضى الحال ، فلا يخاطبوا الخلفاء بكلام السوق ، وعليهم التحلى بالأخلاق الرفيعة والصفات الحميدة .. إلى آخره (١) .

وابن قتيبة في كل هذا يستدل على صحة ما يقول بالقرآن الكريم تارة، وبالحديث الشريف تارة ثانية ، وبما أثير عن حكماء الفرس وملوكهم تارة أخرى ، مما يدل على أنه واسع العلم والمعرفة والثقافة .

ويبدو أن مهمة هؤلاء الكتّاب في تلك الآونة ، هي جودة الخط وإتقانه، دون اهتمامهم بمعاني الألفاظ والتراكيب ، يقول ابن قتيبة ساخراً منهم لعجزهم الشنيع باللغة الفصحى : " فأبعد غايات كَاتِبِنَا في كتابته أن يكون حَسَنَ الخط ، قويم الحروف ، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبيات في مدح قَيِّنة (٢) أو وصف كأس ثم يعترض على كتاب الله بالطعن، وهو لا يعرف معناه

١- انظر مقدمة أدب الكاتب : من ص ١ إلى ص ١٦ .

٢- القَيِّنة : الأَمَة ، مغنية كانت أو غير مغنية .

، وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب ، وهو لا يدري من نقله (١).

مما حدا بابن قتيبة إلى محاولة إصلاحهم ، فوضع هذا الكتاب ذخيرة من اللغة ، ومسائل من النحو ، وزاداً من المعرفة ، يُقَوِّم به كاتب الديوان لسانه حين يتحدث ، وقلمه حين يكتب وينشئ.

- أما الكتاب الأول فهو كتاب المعرفة ، حاول فيه ابن قتيبة أن يتقف القارئ والكاتب اللذين يجهلان دلالة الألفاظ ، ومعرفة الفروق الدقيقة بين مدلولاتها ، ولذلك نراه ينبه على الخطأ والغلط كثيراً ، وهذا واضح في باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه " (٢) ثم سرعان ما نجده يرتب المادة اللغوية بحسب الموضوعات والمعاني ، كما في " باب معرفة ما في السماء والنجوم والأزمان والرياح ، وكما في باب الخيل ، وباب الطير وأبواب الفروق إلى آخره ...، وهو بذلك يكون قد كَوَّن معجماً لغوياً صغيراً بحسب الموضوعات أو المعاني ، وهذا يتمثل في تصنيفه لهذه الموضوعات ، وحصره للألفاظ ، ومعالجته لمعاني كلمات بعض الحقول الدلالية في العربية ، ولعله يهدف من وراء كل ذلك إلى التعرف على معناها المعجمي lexical meaning بإيضاحها وشرحه وتفسيره.

١- أدب الكاتب : ص ٢ وما بعدها

٢- أدب الكاتب : من ص ١٧ إلى ص ٣٦

- أما الكتاب الثانى فهو كتاب تقويم اليد ، أدرج تحته دروساً عن قواعد الرسم الإملائى كحذف الألف والياء من الأسماء ، ودخول ألف الاستفهام على ألف الوصل فى المقصور والممدود ، كما تحدث عن أحوال الهمز ، من تحقيق وحذف وتسهيل إلى آخره ...

- أما الكتاب الثالث فهو كتاب " تقويم اللسان " : وهذا الكتاب خاص ببعض أخطاء العامة فى الفصحى وفيه أدرج ابن قتيبة العديد من المفردات التى تتقارب فى اللفظ وفى المعنى ، فربما وضع الناس أحدهما فى موضع الآخر، وما جاء ساكناً والعامة تحركه إلى آخره ...

- أما الكتاب الرابع فهو " كتاب الأبنية " : وهو خاص بالصرف العربى ، وتطبيق واسع على أبنية الأفعال والأسماء من صيغ الاشتقاق بأنواعه المتعددة

أسلوب ابن قتيبة فى أدب الكاتب :

يتميز أسلوب ابن قتيبة فى هذا الكتاب القيم بالنفقه فى اللغة ، وإلمامه لألفاظها ، واستنباطه لأسرارها ، كان شديد العناية بالمعنى ، يتخير الألفاظ للمعانى ، لا المعانى للألفاظ ، وكان يراعى فى كلامه أن يكون مطابقاً لمقتضى الحال ، يميل إلى تأدية المعنى من أقرب طريق ، وينفر من استخدام

الألفاظ الوحشية الغربية ، التي تحتاج إلى جهد ومشقة حين التعرف على معانيها ، ولذلك نراه يقول: "ونستحب له (أى للكاتب) أن يدع فى كلامه التّعير والتعيب^(١) .

وفى ثنايا الكتاب نجد أسلوبه مزداناً بالاقتباس من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ولعل هذا يرجع إلى نزعته الدينية ، يضاف إلى هذا استشهاده بالشعر والحكم والأمثال والأقوال المأثورة عن الأعراب الفصحاء.

لكن ، ما أهمية دراسة أدب الكاتب؟

إن أهمية هذه الدراسة - من وجهة نظرنا - تتصل بقضايا التغير اللغوى وما تحتويه مما قد يسمى باللحن قديماً أو حديثاً، ولذلك حاول علماء العربية القدماء - وفى مقدمتهم ابن قتيبة - أن يحافظوا عليها من ألوان اللحن الصوتى والصرفى ، وكانت لهم فى ذلك جهودهم المعروفة، بيد أن مواقفهم تختلف بين متشدد ومتساهل ، كما أن الظواهر التى تناولوها قد تحتمل من التفسيرات التطورية أو اللهجية ما لم يفتن إليها بعض القدماء ، وهو ما تحاول هذه الدراسة أن تستجمع خيوطه ومتناثراته كي نصل فيه إلى الرأى الأرجح.

١- مقدمة أدب الكاتب: ص ١٢ ، والتعير: الانتهاء إلى قعر الشئ ، هذا أصله ، وتقول " قَعَرَ الرجل " إذا روى فنظر فيما يغمض من الرأى حتى يستخرجه ، كأنه إذا تكلم بكلام غريب عويص احتيج معانيه ، كما يحتاج إلى إخراج ما فى القعر ، والتعيب مثل التعير ، ومعناه التعميق.

الهدف من تأليف ابن قتيبة لأدب الكاتب:

لم يكن هدف ابن قتيبة من تأليف كتابه إلا تقويم اعوجاج الألسن ، وتعويد الناشئة على النطق السليم المبرأ من العيب بعد ذيوع اللحن وانتشاره على السنة العامة والخاصة مما دفعه لتأليف كتابه هذا لتأديب كُتَّاب الدواوين والولاة والمتقفين عامة ، الذين ظنوا بأنفسهم العلم ، وهم جهلاء ، وتعليم الخاملين المتطاولين الذين غفلوا عن حقيقة حالهم فأهملوا النظر في اللغة، وانصرفوا إلى العلوم الحديثة والمترجمة ، فضعفت صلتهم بالعربية الفصحى، وجعلوا الكثير من مسائلها ، فنشروا على الناس جهالهم .

وبناء على هذا فإن ابن قتيبة استهدف تعليم الجهال ممن يدعون العلم، وكشف المتطاولين على القيم الدينية ، وهم أجهل الناس بمكانتها ، ومن ثمَّ أَلَفَ لهم " أدب الكاتب " جمع فيه بين تقويم اللسان وتقويم اليد " أى رسم قواعد الكلمات " .

ونظرًا لشهرة هذا الكتاب، وجودة مادته العلمية فقد طبع في القاهرة أكثر من خمس مرات ، صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٣٠٠ هـ ، وأول من قام بنشره المستشرق الألماني اسبرول sproull فى ليبسك سنة ١٨٤٨م، ثم أعاد نشره المستشرق الألماني الدكتور ماكس جرونرت Max Grunert فى مطبعة بريل ، فى ليدن سنة ١٩٠٠ ميلادية ، وقد عنى بوضع فهرس له.

وقد نال هذا الكتاب حظاً كبيراً من ثناء العلماء، فقد تناولوه شرحاً واختصاراً وإضافة وتعليقاً ونقداً وتهذيباً، وذلك نظراً لجودة مادته العلمية، وذلك على الوجه الآتي :

١- شرح خطبته عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي " ت ٣٣٧هـ" (١).

٢- شرح أبياته أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي " ت ٣٤٨ هـ" (٢)

٣- شرحه إسحاق بن إبراهيم الفارابي " ت ٣٥٠ هـ" (٣).

٤- شرحه أبو علي القالي البغدادي " ت ٣٥٦ هـ" (٤).

٥- شرح مقدمته ابن خير الإشبيلي ، وسماها " شرح صدر أدب الكاتب" (٥).

٦- شرح خطبته عبد الباقي بن محمد " ت ٣٩٢ هـ" (٦).

٧- شرحه أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤ هـ - ٥٢١ هـ) وسماه " الاقتضاب في شرح أدب الكتاب"

(٧) وقد جعله في ثلاثة أجزاء ، قصر الأول منه على شرح

١- حاجي خليفة ، كشف الظنون : ج ١ ص ٤٨ ، وإنباه الرواة : ج ٢ ص ١٦٠ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ

الأدب العربي : ج ٢ ص ١٧٦

٢- كشف الظنون : ج ١ ص ٤٨ ، بغية الوعاة : ج ١ ص ٦٠٢ .

٣- معجم الأبناء : ج ٤ ص ٢٠٨ ، وبغية الوعاة : ج ١ ص ٣٨٨ .

٤- بغية الوعاة : ج ١ ص ٤٣٨ ، ومعجم الأبناء : ج ٦ ص ٦٣ ، وكشف الظنون : ج ١ ص ٤٨

٥- معجم الأبناء : ج ١٨ ص ٢٧٥

٦- ابن خيري الإشبيلي ، فهرست ما وراء عن شيوخه : ص ٣٤٤ .

٧- تاريخ الأدب العربي : ج ٢ ص ٢٢٦

الخطبة ، والثانى على التنبيه على الأغلاط ، والثالث على شرح الأبيات ^(١).

٨- شرحه موهوب بن أحمد الجوالقي " ت ٥٤٠ هـ " ^(٢)

٢- تأويل مشكل القرآن الكريم:

ويتضح من اسمه أن ابن قتيبة أوضح كل ما أُشكِلَ فهمه من آى الذكر الحكيم ، وبيّن أن القرآن نزل بلغة العرب على مذهبها فى الإيجاز والإطناب ، والإخفاء والإظهار ، وقد ضَمَّنَه أبوابًا عديدة ، منها باب للكناية والتعريض ، وآخر للاستعارة ، فالمقلوب ، وباب آخر بعنوان " باب تأويل الحروف التى ادّعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم " فتحدث عن الحروف المقطعة ، واختلاف المفسرين فيها ، وقد أورد لكل آية فيها شَبَهَةً ، أو عبارة فيها خفاء ، والأمثال والنظائر من مآثور القول عند البلغاء والفصحاء ، وعقد أيضًا بابًا بعنوان " باب اللفظ الواحد للمعانى المختلفة " تحدث فيه عن الألفاظ التى جاءت فى القرآن متحدة المبانى ، مختلفة المعانى ، وهذا الباب - فى رأينا - له قيمة عظيمة فى اللغة ، لأنه أرجع المعانى المختلفة للفظ الواحد إلى أصل واحد نشأت فيه وتفرعت عنه.

١- انظر - مثلاً - طبعة الهيئة العامة للكتاب ، طبعة ١٩٨٢.

٢- انظر: طبعة دار الكتاب العربى ، بيروت ، بتحقيق مصطفى صادق الرافعى.

وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة الأستاذ السيد أحمد صقر سنة ١٣٧٣هـ، ثم أعيدت طبعته سنة " ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م بدار التراث بالقاهرة.

٣- غريب القرآن :

وهو مكمل لكتاب " تأويل مشكل القرآن " يتضح ذلك من قوله " وأفردت للغريب كتاباً كي لا يطول هذا الكتاب ^(١) وقد ذكر منهجه متمثلاً في تقديمه للكتاب وتبويبه على ثلاثة أقسام:

الأول : تأويل أسماء الله الحسنى ، وصفاته ، واشتقاقهما .

والثاني : لتفسير المفردات التي تكررت كثيراً في القرآن الكريم .

والثالث : لتفسير الغريب.

ونشره لأول مرة الأستاذ السيد أحمد صقر سنة " ١٣٨٧ هـ = ١٩٥٨م " دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، ثم أعيد طبعه مصوراً سنة " ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م " دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، ثم أعيد طبعه مصوراً سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨م " بدار الكتب العربية ببيروت.

هذا وقد جمع الإمام محمد بن أحمد بن مطرف الكناني الأندلسي - أحد قراء الأندلس - المتوفى سنة (٤٥٤هـ) مادة كتابي "

تأويل مشكل القرآن ، وتفسير غريب القرآن " فى كتاب واحد ،
سماه " القُرطِين " جعله فى جزأين .

٤- الشعر والشعراء :

ذكره معظم من ترجموا لابن قتيبة باسم "طبقات الشعراء" (١)
ولعل السبب فى تسميته بذلك ، أنه يشبه مادة كتاب " طبقات
الشعراء" لابن سلام ت " ٢٣٢ هـ" وقد ألفه فى أخريات أيامه ، وجعله
فى جزأين ، تحدث فى الجزء الأول عن مفهوم الشعر ، لفظه
ومعناه ، حسنه وقبيحه ، والإقواء ، والإكفاء ، والعيب فى الإعراب
، وأوائل الشعراء ، يقول: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب": (٢)
١- ضربٌ منه حسنٌ لفظه وجاد معناه كقول القائل: (٣)

١- الفهرست : ص ١١٦ ، وفيات الأعيان : ج ٣ ص ٤٢ ، وبغية الوعاة : ج ٢ ص ٦٤ ، والداوودى ،
طبقات المفسرين : ج ٢ ص ٢٤٦ .

٢- انظر أنواع هذه الأضرب فى كتاب الشعر والشعراء : ج ١ من ص ٦٤ إلى ص ٧١ .

٣- هذان البيتان للحزين الكنانى من أبيات يمدح بها عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وزعم أبو تمام فى
الحماسة أنهما له فى مدح زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب ج ٤ ص ١٦٧ : ١٦٩
من شرح التبريزى . وزعم غيره أنهما من أبيات للفرزدق فى مدح زين العابدين . قال الأصبهانى فى
الأغنى : " وهو غلط ممن رواه فيها ، وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين عليهما
السلام ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد " . وقال أيضاً : " والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن
عبد الملك ، وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات ، وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة
المعانى ، متشابهة تبنى عن نفسها " ثم ساق أبيات الحزين . انظر الأغنى : ج ١٤ ، ص ٧٤ : ٧٧ ،
والشعر والشعراء : ج ١ ص ٦٥ .

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَانَ رِيحُهُ عَبَقٌ . . مِنْ كَفِّ أَرْوَاحٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ ^(١)
يَغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ . . فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ
لَمْ يُقَلِّ فِي الْهَيْبَةِ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَكَقَوْلِ : أَوْسٍ بْنِ حَجَرَ ^(٢)
وَذَلِكَ أَنَّ مَعَانِيَهُ مَبْتَكِرَةٌ وَجَيِّدَةٌ ، وَيَتَسَمُّ بِتَرْكِيزِ الْأَسْلُوبِ ، وَبِالْوَحْدَةِ
الْفَنِيَّةِ الْمَوْسِيقِيَّةِ .

لَمْ يَبْنِدْ أَحَدٌ مَرَثِيَّةً بِأَحْسَنَ مِنْ هَذَا . وَمِثْلُ هَذَا الشَّعْرِ رَقِيقُ
الْلَفْظِ ، سَهْلُ الْقِيَادِ ، عَمِيقُ الْمَعْنَى ، لَا يَعْمَدُ إِلَى التَّعْقِيدِ ، وَلَا يَحْمِلُ
الْقَارِئُ شَطْطَ الْغَوْصِ وَرَاءَ مَعْنَى خَبِئٍ فِي مَلَمَاتِ الْغَيْبِ ، وَهَذَا
الشَّعْرُ يَتَوَغَّلُ فِي أَعْمَاقِ الْقَارِئِ حَيْثُ يَمْلَأُ النُّفُوسَ حُزْنًا وَتَفْضِيزَ
الدَّمْعِ أَسْفًا وَحَسْرَةً .

هَذَا أَبْدَعَ بَيْتٍ قَالَهُ الْعَرَبُ لِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ كِيَانِنَا الْإِنْسَانِي حَيْثُ
وَضَعَ أَبُو ذُؤَيْبٍ الْكَلِمَةَ فِي مَوْضِعِهَا الْمُنَاسِبِ ، فَعَبَّرَتْ عَنْ مَعْنَاهَا
تَعْبِيرًا صَادِقًا لِأَنَّ الصَّدْقَ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَهَمِّ عَوَامِلِ دَرَجَاتِ
التَّفُوقِ ، عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكْمُونَ لِلشَّعْرِ عَمَلٌ إِيجَابِيٌّ وَنَزْعَةٌ هَادِفَةٌ
فِي الْمَجْتَمَعِ ، وَأَنْ يَتَابَعَ الْأَحْدَاثُ وَبُؤْثَرُ فِيهَا ، وَيُدْفَعُ إِلَى الْبِنَاءِ
وَالْتَجْدِيدِ النَّفْسِيِّ .

١- الْخَيْرُ رَانَ : كُلُّ عَوْدٍ لَيْنٍ أَمْلَسَ .

- الْعَرْنَيْنِ : مَا صَلَّبَ مِنْ عَظْمِ النَّفْسِ حَتَّى يَكُونَ الشَّمَمُ ، وَعَرَانِينَ الْقَوْمِ : سَادَتُهُمْ وَاشْرَافُهُمْ .

- نَمَضَى الرَّجُلُ : أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى حَدَقَتَيْهِ حَيَاءً .

٢- هَذَا الْبَيْتُ صُورٌ مَرَثِيَّةٌ جَيِّدَةٌ نَادِرَةٌ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ : ج ١ ص ٦٥ ، وَالْأَغَانِي : ج ١٠ ،

أَيَّتْهَا النَّفْسُ أَجْمَلَى جَزَعَا .: إِنَّ الَّذِي تَحْذَرِينَ قَدْ وَقَعَا
لم يبتدئ أحدٌ مرثيةً بأحسن من هذا .

وكقول أبي ذؤيب: (١)

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبْتَهَا .: وَإِذَا تُرِدَ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

قال ابن قتيبة : حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : هذا
أبدع بيت قاله العرب .

٢- وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك
فائدة في المعنى ، كقول القائل : (٢)

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ .: وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارِي رَحَالَنَا .: وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا .: وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ (٣)

هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شيءٍ مخرج ومطالع ومقاطع ،

وهي مثال للشعر الرائق لفظه ، البسيط معناه . وإن نظرت إلى ما

تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا "أى قضينا" أيام منى ،

١- ورد هذا البيت في الشعر والشعراء : ج ١ ص ٦٥ .

٢- هذه الأبيات وردت في الخصائص: ج ١ ص ٢٢٥ ، ومعجم البلدان: ج ٨ ص ١٥٩

٣- المَهَارِي : الإبل النجيبة التي تسبق الخيل ، وهي منسوبة إلى قبيلة مَهْرَةَ بن حِذَانَ .

- المطى : الدواب التي تركب .

- الأباطح : جمع الأبطح وهو المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى ، ومنه أبطح مكة .

واستلمنا الأركانَ ، وعالينا إيلنا الأنضاء^(١) ، ومضى الناسُ لا
ينتظر الغادى الرائحَ ، ابتدأنا فى الحديثِ ، وسارت الدواب فى
الأماكن المتسعة.

٣ - ضربٌ منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ، كقول لبّيد ابن
ربيعة : (٢)

ما عاتبَ المرءَ الكريمَ كنفسِهِ .: والمرءُ يصلحُ الجليسُ الصالحُ
هذا وإن كان جيدَ المعنى والسبك فإنه قليلُ الماءِ والروّوق .

٤ - ضربٌ منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشى : (٣)

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًّا .: وَإِنَّ فِى السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا
استأثرَ الله بالوفاءِ وبِالْـ .: حَمْدٍ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرِّجُلَا
وَالْأَرْضُ حَمَالَةٌ لِمَا حَمَلَ اللَّـ .: لَهُ وَمَا إِنْ تَرَدُّ مَا فَعَلَا
يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبَهُ أُرْدِيَةِ الْـ .: عَصَبٌ وَيَوْمًا أُدِيمُهَا نَعْلًا
وهذا الشعر منحول ، ولا أعلم فيه شيئاً مستحسنًا إلا قوله : (٤)
يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ الْمَطِيَّ وَلَا .: يَشْرَبُ كَأَسَا بِكَفٍّ مَنْ بَخِلَا

١- الأنضاء : جمع نضو ، وهو الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها .

٢- ورد هذا البيت فى الشعر والشعراء : ج ١ ص ٦٨ .

٣- انظر هذه الأبيات فى الشعر والشعراء : ج ١ ص ٦٩ .

٤- المصدر السابق نفسه : الصفحة نفسها .

يريد أن كل شارب يشرب بكفه ، وهذا ليس ببخيل فيشرب بكف من بخل . وهو معنى لطيف.

أما الجزء الثانى فجعله للحديث عن الشعر والتأريخ لشعرهم ، وذكر أنسابهم وقصائدهم ، وما اتصل بهم من روايات ، والمتأمل فى هذا القسم يلحظ أن اختيار ابن قتيبة لبعض شعر الشاعر اختيار عالم بالشعر عرّاف به، فقيه فيه ، فهو يختار فيحسن الاختيار ، وينقد فيحسن النقد، ويجيد، ويوازن بين الشعراء فيقيم الوزن بالقسط .

ومقدمة الكتاب من أعظم ما خلفه ابن قتيبة من الآثار الأدبية، لأنه وضع فيها مذهباً جديداً فى تقويم الشعر والشعراء.... وأن هذا المذهب يدل على أنه رجل جريء ، مجدد ، ثائر على التقاليد النقدية العتيقة ، فقد نبذ التقليد جنبا، وقَّوم الشعر من حيث هو شعر، بدون نظر إلى قائله، وهذا رأى خليق بالاعتبار^(١)

وقد طبع لأول مرة فى ليدن سنة ١٨٧٥ ميلادية ، ثم طبع فيها مرة ثانية سنة ١٩٠٢ ميلادية ، ثم طبع فى مصر سنة ١٩٠٤ ميلادية مع بعض تعليقات من قبل الشيخ بدر الدين النعسانى الحلبي ، ثم صدر بتحقيق العلامة شيخنا أحمد محمد شاكر سنة ١٩٥٠ ميلادية ، ثم صدر بعد ذلك فى جزأين كبيرين سنتى " ١٩٦٦ و ١٩٦٧ " الميلاديتين عن دار المعارف ، بمزيد من العناية والإتقان.

ولقد اهتم المستشرق الفرنسي " ديموبين Demombin " بمقدمة الكتاب ، فنشرها في كتاب مستقل، ثم علق عليها بإسهاب باللغة الفرنسية .

٥ - عيون الأخبار :

ويعد هذا الكتاب - في رأينا - من أشهر كتبه ، بعد كتاب " أدب الكاتب " فقد قَدِّمَهُ للعمامة والخاصة ، يقول في مقدمته للكتاب : ولم أر صواباً أن يكون كتابي هذا وقفاً على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سُوقَتهم ، فوفيت كل فريق منهم قِسْمه ووفرت عليه سهمه وأودعته طُرُقاً من محاسن كلام الزهاد في الدنيا وذكر فجائعها والزوال والانتقال وما يتلاقون به إذا اجتمعوا ويتكاتبون به إذا افترقوا^(١) ، إلا عَمَن تراه لك حجة ولا تقدح في صدرك منه الشكوك، وكذلك مذهبنا فيما نختاره من كلام المتأخرين وأشعار المحدثين، قسّمت هذه الأخبار والأشعار وصنفتها وجدتها على اختلاف فنونها وكثرة عدد أبوابها تجتمع في عشرة كتب بعد الذي رأيت إفراده عنها وهو أربعة كتب متميز ، كل كتاب منها منفرد على حدته ، كتاب الشراب ، وكتاب المعارف ، وكتاب الشعر ، وكتاب تأويل الرؤيا إذا كان متخيّر اللفظ لطيف المعنى لم يُزِرْ به عندنا، تأخر قائله كما أنه إذا كان بخلاف ذلك لم يرفعه تقدّمه ، فكل قديم حديث في

عصره وكل شرف فأولَّه خارجيُّه ، ومن شأن عوام الناس رفع
المعدوم ووضع الموجود ورفض المبذول وحب الممنوع وتعظيم
المتقدّم وغُفران زلته وبخس المتأخر والتجنّي عليه ، والعاقل منهم
ينظر بعين العدل لا بعين الرضا ويزن الأمور بالقسطاس المستقيم
(١).

فهذا الكتاب يحوى الكثير من الروايات والأخبار ، كما يقدم
الأدب الرفيع متمثلاً فى روائع الشعر وبلغى النثر بما يمكن أن نقول
إنه صورة حية للحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية آنذاك
، وهو يعكس ثقافة العصر الذى عاش فيه ابن قتيبة عن طريق تأثر
الثقافة العربية بالفارسية وغيرها من الثقافات .

وقد قسمه ابن قتيبة إلى عشرة أبواب ، كل باب ، سماه
كتاباً ، وهذه الكتب هى : "كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب
السؤدد ، كتاب الطبائع ، كتاب العلم ، كتاب الزهد ، كتاب الإخوان
، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء".

الكتاب الأول : " كتاب السلطان "

وفيه الأخبار عن محل السلطان واختلاف أحواله وعن
سيرته وعما يحتاج صاحبه إلى استعماله من الآداب فى صحبته
وفى مخاطبته ومعاملته ومشاورته له وما يجب على السلطان أن
يأخذ به فى اختيار عُمّاله وفُضّائِهِ وحُجّابِهِ وكُتّابِهِ ، وعلى الحكام أن

يمتثلوه فى أحكامهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر
المشاكلة لتلك الأخبار.

ومن أمثلة الأشعار المشاكلة لذلك قول الرياشى فى المشاورة
بالرأى:

وعاجز الرأى مضياح لفرصته

حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فلا بد من الأخذ بمبدأ المشورة امتثالاً لقوله تعالى
(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ)^(١). لقد أدرك الشاعر أن الشعر جزء من
كياننا الإنسانى، وهو من لا تستغنى عنه الحياة.

أما كتمان السر فقد الرسول صلى الله عليه وسلم :
"استعينوا على الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود"
نقول

إذا ما ضاق صدرك من حديث

فأفشتُ الرجلُ فمن تلوم

إذا عاتبت من أفشى حديثي

وسرى عنده فأنا الظالم

وإنى حتى أسأم حمل سرى

وقد ضممته صدرى سوءوم

وحيث نؤمن النظر في هذه الأبيات نلاحظ أنه لا بد من كتمان السر وعدم الإباحة به، ولولا وجود بعض الهدامين له، لما فقد بعض الشعراء ثقتهم بالقيم الدينية التي دأبت الإنسانية على تركيزها في الشعر. يجب أن نكون مدركين طريقة التفكير في هذه الأمور بأنه لا مسيء من أعتب، والاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

وقال عمور بن العاص: "ما استودعت رجلاً سرّاً فأفشاه فلمته، لأنني كنت أضيق صدرًا حينما استودعته، وعليه نقول:
وإذا أنت لم تحفظ لنفسك سرها
فسرك عند الناس أفشى وأضيع

أما الحبس فإن الشكوى لله.
إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى
وفى يده كشف المصيبة والبلوى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتي

إنك إذا كتبت بيتاً واحداً من الشعر الجيد يجب أن تكون قد شاهدت مدناً وأشخاصاً، يجب أن نؤتي القدرة على استيعاب التفكير في ضروب كائنة في مناطق مجهولة، يجب أن نلتفت إلى الوراثة نحو أيام الطفولة.

وهذا النوع من الشعر الديني إذا تأملته تجد نفسك خاشعاً، فالشعر الديني عند الشعراء المجددين هو أكبر دعامة لخلودهم،

وصفوة إبداعهم فى هذا الجانب، يجب أن يكون موضوع الحفاوة والانتفاع به حتى يعم السلام والطمأنينة فى قلوب البشر.

أما العفو فقالوا: "إن عاقبت جازيت، وإن عفوت أحسنت، والعفو أقرب للتقوى، نقول:

ألا إن خير العفو عفو معجل

وشر العقاب ما يجاز به القدر

وأجمل ما فى هذا البيت هو ذلك العفو الجارف، وتلك العاطفة الجياشة النابعة من خلجات النفس، حيث تلحظ العفو عند المقدرة.

يجب أن يكون للشعر دور إيجابى ونزعة هادفة فى المجتمع وأن يتابع الأحداث ويؤثر فيها، ويدفع بها إلى البناء والتجديد النفسى.

الكتاب الثانى " كتاب الحرب "

وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكايدها ووصايا الجيوش وعن العدد والسلاح والكراع، وما جاء فى السفر والمسير والطيرة والفأل ، وما يؤمر به الغزاة والمسافرون ، وأخبار الجبناء والشجعاء وحيل الحرب وغيرها وشئ من أخبار الدولة والطلبيين وأخبار الأمصار وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

من ذلك حض الناس يوم اللقاء، فقد قال أبو بكر الصديق لخالد ابن الوليد حين وجهه: "احرص على الموت توهب لك الحياة" قالت الخنساء:

نهين النفوس وهون النفوس .: س يوم الكريهة أرقى لها
 والبطولة تكمل إذا جمع صاحبها بين الشجاعة والجرأة
 والخلق النبيل وقت القتال: وقال قطري بن الفجاءة:
 وقولى كلما جشأت وجاست
 من الأبطال ويحك لا تراعى
 فإنك لو سألت حياة يوم
 سوى الأجل الذى لك لم تطاعى
 فى هذين البيتين فاضت مشاعر الشاعر بكل هذا الشعر
 الرائع. فانفعل وتأثر فأنتجت قريحته هذين البيتين وغيرهما كثير.
 أما الطيرة والفأل فقد قال الأصمعى: هرب بعض البصريين
 من الطاعون، فركب حماراً له، ومضى بأهله نحو سفوان، فسمع
 حادثاً يحدو خلفه وهو يقول:
 لن يسبق الله على حمار
 ولا على ذى ميعة مطّار
 أو يأتى الحتف على مقدار
 قد يصبح الله أمام السارى
 أما عن أخبار الجبناء فنقول:
 للحرب قوم أضل الله سعيهم
 إذا دعته إلى حوبائها وثبوا
 ولست منهم ولا أبغى فعالهم
 لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

فى هذين البيتين نجد بعض القوم قد أضل الله سعيهم لأنهم يحاربون من أجل هدف تافه وهو السلب والسرقة، فينبغى علينا البعد عن أفعالهم الرذيلة والمنكرة.

الكاتب الثالث " كتاب السؤدد "

وفيه الأخبار عن مَخَايِل السؤدد فى الحَدَث وأسبابه فى الكبير ، وعن المهمة السامية والخِطَارِ بالنفس لطلب المعالى واختلاف الإرادات والأمانى والتواضع والكبر والعجب والحياء والعقل والحلم والغضب والعز والهيبة والذل والمروءة واللباس والطيب والمجالسة والمحادثة والبناء والمُزَاح وترك التصنع والتوسط فى الأشياء وما يكره من الغلق والتقصير واليسار والفقر والتجارة والبيع والشراء والمُدَايِنَة والشريف من أفعال الأشراف والسادة وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

من ذلك أنه قيل لعرابة الأوسى: بم سددت قومك؟ قال بأربع: أنخدع لهم من مالى، وأذل لهم فى عرضى، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد رفيعهم، قال الشاعر المقنع الكندى:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم

وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وليس إلى نصرى سراعاً وإن هم

دعونى على نصر أتيتهم شدا

وإذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم
 وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
 يُعَيِّرُنِي بالدين قوم وإنما
 ديونى فى أشياء تكسبهم حمدا

حين ندقق النظر فى هذه الأبيات نلاحظ أن الشاعر يعالج
 مخايل السوء وأسبابه، فهو يؤكد على أنه لا يحمل الحقد لقومه
 وحينما يدعوه إلى نصرهم فيسرع إليهم.

وأنهم حينما يذمونهم ويسبونهم، فإنه يرد هذه الإساءة
 بالإحسان، ونزعته الدينية تجرى فى عروقه، يعيرونه بها قومه،
 رغم أنه يكسب لهم الحمد والثناء.

ومن هنا نعرف أن الشاعر يتصف بالشهامة والكرم ونصرة
 قومه وقت الشدة، وهو مؤمن عميق بالإيمان بأن لديه رسالة يدافع
 عنها على نحو ما سبق.

أما الهمة والخطر بالنفس فنقول:
 الذل فى دعة النفوس ولا أرى

عز المعيشة دون أن يُشقى لها

معنى هذا أننا لكى نعيش أعزاء فلا بد من الجد والاجتهاد،
 لأن من يعيش مسروراً فليقتنع، ومن أراد الذكر فليجتهد، قيل
 للعتابى: فلان بعيد الهمة، قال: إذن لا يكون له غاية إلا الجنة.

وإني لأستحي من الله أن أرى
 أطوف بأرض ليس فيها بغير
 وأن أسأل المرء اللئيم بغيره
 وبُعْران ربي في البلاد كثير
 وفي الحديث الشريف عن ابن مسعود قال: كان آخر ما حُفظ
 من كلام النبوة: "إذا لم تستحي فاصنع ما شئت"
 وقال سعيد بن المسيب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
 يقول: "قلة الحياء كفره"

أما عن الحلم والغضب فقد قال بعض المحدثين:
 وإن الله ذو حلم ولكن
 بقدر الحلم يُفتقد الحليم
 لقد ولّيت بدولتك الليالي
 وأنت معلق فيها نعيم
 وزلت لم يعيش فيها كريم
 ولا استغنى بثروتها عديم
 فبُعْدًا لا انقضاء له وسحقًا
 فغَيَّرَ مساركَ الحدث العظيم

لا يكفي أن نكون مدركين طريقة التفكير في كل هذه
 الأمور، بل يجب أن نترث ونتمهل وألا نثور ونغضب فكم من
 شاعر جيد الصياغة، غير قادر على التفكير فيما يشعر به، عديم

الإيمان بحقيقته، وذلك هو المقلد الذى يخرج شعراً لا يهز وجدان القارئ.

الكتاب الرابع " كتاب الطبائع والأخلاق "

وفيه الأخبار عن تشابه الناس فى الطبائع وذمهم ، وعن مساوئ الأخلاق من الحسد والغيبة والسعاية والكذب والقحة وسوء الخلق وسوء الجوار والسباب والبخل والحمق وتوارد الحمقى وطبائع الحيوان من الناس والجن والأنعام والسباع والطيور والحشرات وصغار الحيوان والنبات وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

وقد قيل: "لا يزال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساوا هلكوا"

قال أحد الشعراء:

الناس أسوأ وشتى فى الشيم

وكلهم يجمعهم بيت الأدم

أما الحسد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يسلم منهم أحد: الطيرة والظن والحسد، قيل فما المخرج منهم يا رسول الله؟ قال: إذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ"

قال الطائى:

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتمال النار فيما جاورت
 ما كان يُعرف طيب عرف العود
 لولا التخوف للعواقب لم تزل
 للحاسد النعمى على المحسود

إن الأمر هنا ليس أمر أبيات فى قصيدة، ولا هو أمر
 القصيدة نفسها، وإنما هو أمر ارتعاشة الشاعر فى اللحظة الحاسمة،
 لحظة نورانية الخالق عندما يقف محلقاً فى سمائه الشعرية مبدلاً
 حاجته الراهنة بحقائق جوهرية.

وقيل للحسن البصرى أبحسد المؤمن أخاه؟ قال: لا أباً لك،
 أنسيت إخوة يوسف، وكان يقال: أردت أن تسلم من الحاسد، فَعَم
 عليه أمورك، ويقال: إذا أراد الله أن يسلط على عبده عدواً لا
 يرحمه سلط عليه حاسداً. قال الشاعر:

حَسَدُوا الْفَتَى إِذَا لَمْ يَنَالُوا سَعِيهِ

فالقوم عدااء ولهم خصوم

كضرائر الحسناء قليلة لوجهها

حَسَدًا وَظُلْمًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ

قال الأحنف: "لا وفاء لكذوب، ولا راحة لحسود، ولا مروءة
 لبخيل، ولا سؤدد لسيء الخلق، وقال معاوية: "كل الناس أستطيع
 أرضيه إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

نقول:

كل العداوة قد ترجى إماتتها

إلا عداوة من عاداك من حسد
 إن تحسدوني فإنى لا ألومكم
 قبلى من الناس أهل الفضل قد حُسدوا

فالحسد أول ذنب عصى الله به فى الأرض، يعنى حسد ابن
 آدم أخاه حين قتله.

وقال الأصمعى: "رأيت أعرابياً قد أتت له مائة وعشرون
 سنة، فقلت: ما أطول عمرك! قال: تركت الحسد فبقيت.
 أما الغيبة والعيوب، فقال أبو الدرداء: "ليس من يوم أصبح
 فيه لا يرمىنى الناس بداهية إلا كان نعمة من الله على".
 قال حسان:

وإن امرءاً أمسى وأصبح سالماً

من الناس إلا ماجنى لسعيد

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا عاب أحدكم أخاه
 فليستغفر الله"

وقال أحد الشعراء:

لا تلتمس من مساوئ الناس ما ستروا

فيكشف الله سترًا من مساويك

أما السعاية فقد قال الأعشى:

ومن يطع الواشين لا يتركوا له

صديقاً وإن كان الحبيب المقرب

أما الكذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يصلح الكذب إلا فى ثلاثة مواضع: الحرب فإنها خدعة، والرجل يصلح بين اثنين، والرجل يرضى امرأته"

وقال الأحنف: اثنان لا يجتمعان أبداً : "الكذب والمروءة"

وقال أيضاً لابنه: "اتخذ الكذب كنزاً، أى لا تخرجه"
قال الشاعر:

حسب الكذوب من البلية
بعض ما يحكى عليه
مهما سمعت بكذبة
ممن غيره نسبت إليه

أما سوء الخلق وسوء الجوار والشر فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن سوء الخلق والبخل" وقيل: يا رسول الله ما الشؤم؟ قال: "سوء الخلق"
قال الشاعر:

قوما إذا أكلوا أخفوا كلامهم
واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقيس الجار منهم فضل نارهم
ولا تكف يد من حرمة الجار

أما الحمق فقد قال عمر بن الخطاب: "إياك ومؤاخاة الأحمق فإنه يريد أن ينفحك فيضرك"

ومن حمقى العرب كلاب بن صعصعة، خرج إخوته يشترون خيلا، وخرج معهم كلاب، فجاء بعجل يقوده، فقال له إخوته: ما هذا؟ فقال: فرسا اشتريته، فقالوا: يا مائق هذه بقرة، أما ترى قرنيها!! فرجع إلى بيته فقطع قرنيها، فأولادُهُ يدعون "بنى فارس البقرة"

ولقد أحدث رجل من الحمقى ذات ليلة على باب رجل، فلما خرج الرجل زلق، فوقع على ذراعيه فانكسرت، فاجتمع الجيران وجعلوا يختصمون ويوقعون الظنون، وهو ناحية يسمع كلامهم، فلما أكثروا قال:

رأيت الحرب يجنيها رجال

ويصلى حرها قـوم براء

فأخذوه وقالوا: أنت صاحبنا.

ولما حضر الحطيئة الوفاة، قال: "احملوني على حمار، فإنه لم يمت عليه كريم قط، فلعلى أن أبقى، ثم تمتل:

لكل جديد لذة غير أننى

رأيت جديد الموت غير لذىذ

وقيل له: أوصه، قال: بم أوصى؟ مالى للذكور دون الإناث، فقالوا: إن الله يأمر بهذا، لكنى أمر به، ثم قال: ويل للشعر من راوية الشعر، فقيل له: أوص يا أبا مليكة للمساكين بشئ، قال أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور. قيل أعتق عبدك يسارًا. قال: اشهدوا أنه عبد ما بقى، قيل: فلان اليتيم أوص له. قال

أوصى أن تأكلوا ماله و أمه. قالوا: ليس إلا هذا!! قال: احملوني على الحمار.

الكتاب الخامس " كتاب العلم "

وفيه الأخبار عن العلم والعلماء والمتعلمين وعن الكتب والحفظ والقرآن والأثر والكلام فى الدين ووصايا المؤدِّبين والبيان والبلاغة والتلطف فى الجواب والكلام وحسن التعريض والخطب والمقامات وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

يقال: "لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم، فإن ظن أن قد علم فقد جهل"

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم العلم لأربعة دخل النار، ليباهى به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يميل به وجوه الناس، أو يأخذ به من الأمراء.

قال أحد الشعراء:

يُعد رفيع القوم من كان عالمًا

وإن لم يكن على قومه بحسيب

وإن حلَّ أرضًا عاش فيها بعلمه

وما عالم فى بلدة بغريب

ويقال: "أول العلم الصمت، والثاني الاستماع، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس نشره، ويقال : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول.

وفى حكمة لقمان، إن العالم الحكيم يدعو الناس إلى علمه بالصمت والوقار، وإن العالم الأخرق يطرد الناس من علمه بالهذر والإكثار.
قال الشاعر:

شفاء العمى طول السؤال وإنما

تمام العمى طول السكوت على الجهل

أما الإعراب واللحن فقد قال ابن سيرين: ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة، ولا على امرأة أحسن من شحم.

قيل لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال إني إذا لرجل سوء، قيل له: أتمر فلسطين؟ قال : إني إذا لقوى، وقيل لآخر: أتهمز الفارة؟ فقال : الهمزة تهمزها.

وقال مسلمة بن عبد الملك: "اللحن فى الكلام أقبح من الجدرى فى الوجه"

دخل أعرابى السوق فسمعهم يلحنون، فقال سبحان الله، يلحنون ويربحون، ونحن لا نلحن ولا نربح!!
وقال شاعر فى جارية له:

أول ما أسمع منها فى السحر

تذكيرها الأنثى وتأنيث المذكر

أما البيان فقد قال صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحراً، فاطلبوا الصلاة وأقصروا فى الخطب" وقال العباس: يا رسول الله فيم الجمال؟ قال فى اللسان.

وقال الإمام على - كرم الله وجهه : "تكلّموا تعرفوا، فإن المرء مخبوء تحت لسانه"

ومعنى هذا الكلام أن عقل الإنسان مخبوء تحت لسانه، فلا شئ أولى بطول حسن من لسان يقصر عن الصواب، ويسرع إلى الجواب، ولا حاجة بالعاقل إلى التكلم إلا لعلم ينشره، أو غنم يكسبه، وهذا ما عبر عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال: "رحم الله من قال خيراً فغنم أو سكت فسلم"

ويقال عقل المرء مدفون تحت لسانه، وقال الشاعر:

كفى بالمرء عيباً أن تراه

له وجه وليس له لسان

معنى هذا أن اللسان يعد مقوماً من مقومات شخصية الإنسان، ويقال: الصمت أبلغ من عيِّ ببلاغة.

أقول:

أرى الصمت أدنى لبعض الصواب

وبعض التكلم أدنى لعي

وقال أبو نواس:

مُتُّ بداء الصمت خيراً ∴ لك من داء الكلام

إنما السالم من ألى ∴ جـم فاه بلجام

إن المتأمل فى قول أبى نواس يلحظ أن امتداح الصمت مطلوب، والثناء على محبيه واجب.

الكتاب السادس " كتب الزهد "

وفيه الأخبار عن صفات الزُّهَّاد وكلامهم في الزهد والدعاء
والبكاء والمناجاة وذكر الدنيا والتهجد والموت والكبر والشيب
والصبر واليقين والشكر والاجتهاد والقناعة والرضا ومقامات
الزُّهَّاد عند الخلفاء والملوك ومواعظهم وغير ذلك وما جاء في ذلك
من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار .

من ذلك قول الشاعر:

وَإِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ وَالْأَمْرَ ضَيْقُ

عَلَىٰ فَمَا يَنْفَعُكَ أَنْ يَتَفَرَّجَا

وَرُبَّ فَتَى سُدَّتْ عَلَيْهِ وَحُوهُ

أَصَابَ لَهُ فِي دَعْوَةِ اللَّهِ مَخْرَجَا

قال الأصمعي: أول شعر قيل في ذم الدنيا قول ابن خذاق:

هَلْ لِلْفَتَى مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ رَاقِي؟

أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حَمَامِ الْمَوْتِ مِنْ وَاقِي،

قَدْ رَجَّلُونِي وَمَا رُجِّلْتُ مِنْ شَعَثِ

وَالْبَسُونِي ثِيَابًا غَيْرَ أَخْلَاقِي

وَطَيَّبُونِي وَقَالُوا إِنَّمَا رَجُلٌ

وَأُدْرَجُونِي كَأَنِّي عَلَىٰ مَخْرَاقِ

هَوْنٌ عَلَيْكَ وَلَا تَوَلَّعْ بِإِشْفَاقِ

فَإِنَّمَا مَالُنَا لِلْوَارِثِ الْبَاقِي

وحيث نمعن النظر فى هذه الأبيات نجد أن معانيها مبتكرة صادقة وتعنى بالجو النفسى للألفاظ، كما أنها تتسم بتركيز الأسلوب حيث جمعت بين الخبر والإنشاء بغرض الإثارة والتشويق وجذب الانتباه وإشراك القارئ مع السامع والتعبير عن حقائق ثابتة لا تقبل الجدل والشك.

ومن شعر الوعظ قول أبى العتاهية:

ألا إنما التقوى هى العز والكرم

وحبك للدينيا الذل والندم

الكتاب السابع " كتاب الإخوان "

وفيه الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم والأخبار عن المودة والمحبة وما يجب للصديق على صديقه ومخالقة الناس وحسن محاورتهم والتلاقى والزيارة والمعانقة والوداع والتهادى والعيادة والتعازى والتهانى وذكر شرار الإخوان وذكر القربات والولد والاعتذار وعيب الإخوان وتعاديهم وتباغضهم وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

فمن الحث على اتخاذ الإخوان واختيارهم قول ابن الأعرابى:

لعمرك ما مال الفتى بزخيرة

ولكن إخوان الثقات الذخائر

وقال أيوب السختياني: "إذا بلغنى موت أخ لي فكأنما سقط

عضو منى، قال الشاعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَا لَهُ .: كَسَاعَ إِلَى الْهَيْجَا بِلَا سِلَاحٍ
وَأِنْ ابْنِ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحَهُ .: وَهَلْ يَنْهَجُ الْبَازِي بِغَيْرِ جَنَاحٍ؟

وَأَمَّا مَا يَجِبُ لِلصَّدِيقِ عَلَى صَدِيقِهِ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خِصَالٌ سِتٌّ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهِ
وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ، وَيُسَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرَضَ، وَيَحْضُرُ
جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ، وَيَحِبُّ لَهُ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ".

قَالَ كَثِيرٌ:

وَمَنْ لَا يُغَمِّضُ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ .: وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتُ وَهُوَ عَاتِبٌ
وَمَنْ يَنْتَبِعُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ .: يَجِدُهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبٌ

وَقَالَ آخَرُ:

إِذَا مَا صَدِيقِي رَابِنِي سَوْءَ فَعَلُهُ .: وَلَمْ يَكْ عَمَّا سَاعَدَنِي بِمُقِيقٍ
صَبَرْتُ عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تَرْبِينِي .: مَخَافَةَ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ صَدِيقٍ
وَأَمَّا الْإِنْصَافُ فِي الْمَوَدَّةِ فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ حَسَنٌ فَهَمٌّ .: أَسَأْتُ إِجَابَةً وَأَسَأْتُ سَمْعًا
وَلَسْتُ الدَّهْرَ مَتَسَعًا بِفَضْلٍ .: إِذَا مَا ضَقْتُ بِالْإِنْصَافِ ذُرْعًا
أَمَّا الْعِتَابُ فَنَقُولُ:

وَلَا خَيْرَ فِي قُرْبَى لَغَيْرِكَ نَفْعَهَا .: وَلَا فِي صَدِيقٍ لَا تَزَالُ تَعَاتِبُهُ
يَخُونُكَ ذُو الْقُرْبَى مَرَارًا وَرَبْمَا .: وَفِي لَكَ عِنْدَ الْجَهْدِ مَنْ لَا تَتَنَاسَبُهُ
وَأَمَّا عِيَادَةُ الْمَرِيضِ فَقَدْ كَتَبْتُ إِلَى مَرِيضٍ:

نَبِئْتُ أَنَّكَ مُعْتَلٌ فَقُلْتُ لَهُمْ .: نَفْسِي الْفِدَاءُ لَهُ مِنْ كُلِّ مَخْدُورٍ
يَا لَيْتَ عَلْتَهُ بِي غَيْرَ أَنْ لَهُ .: أَجْرُ الْعَلِيلِ وَأُنَى غَيْرِ مَا جُورٍ

وقال صلى الله عليه وسلم: "إتمام عيادتكم المريض أن يضع أحدكم يده على جبهته أو على رأسه أو يده فى يده، ويسأله كيف هو، وتمام تحياتكم المصافحة.

وأما التعازى وما يتمثل به فيها فنقول:

اصبر لكل مصيبة وتجلّد ∴ واعلم بأن الدهر غير مخلد
أو ما ترى أن الحوادث جمّة ∴ وترى المنية للعباد بمرصد
وإذا أنتك مصيبة تشقى بها ∴ فاذكر مصابك بالنبى محمد

أما التباغض والعداوة فقد قيل لأفلطون : بماذا ينتقم الإنسان من عدوه؟ قال: بأن يزداد فضلا فى نفسه. قال دريد:

وما تخفى الضغينة حيث كانت ∴ ولا النظر الصحيح من السقيم

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: اعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشى الله.

قال الشاعر:

احذر عدوك مرة ∴ واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق ∴ فكان أعلم بالمضرة

الكتاب الثامن " كتاب الحوائج "

وفيه الأخبار عن استتجاح الحوائج بالكتمان والصبر والجِدِّ والهدية والرشوة ولطيف الكلام ومن يُعتمَد فى الحاجة ومن يُستسعى لها والإجابة إلى الحاجة والرد عنها والمواعيد وتنجزها وأحوال المسؤولين عند السؤال فى الطَّلَاقَة والعُبُوس والعادة من

المعروف تُقَطَّع والشكر والثناء والتلطيف فيهما والترغيب فى قضاء الحوائج واصطناع المعروف والحرص والإلحاح والقناعة والاستعفاف وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

من ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استعينوا على الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود"

قال أبو اليقظان: "كان بنو ربيعة يوصون أولادهم فيقولون: استعينوا على الناس فى حوائجكم بالتثقل عليهم، فذلك أنجح لكم. قال الشاعر:

إن الأمور إذا انسدتْ مسائلها ∴ فالصبر يفتح منها كل ما ارتجيا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ∴ ومدمن القرع للأبواب أن يلجأ
لا تيأسنَّ وإن طالَت مطالبة ∴ إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجه"

قال أحد الشعراء:

لا تطلبن إلى لئيم حاجة ∴ واقعد فإنك قاعد كالقاعد
يا خادع البخلاء عن أموالهم ∴ هيهات تضرب فى حديد بارد

والعرب تقول لمن جاء خاليًا ولم يظفر بحاجته: "جاء على
غيراء الظهر"^(١) وجاء بخفي حنين، وجاء على حاجبيه صُوفة،
وإن جاء وقضيت حاجته، قالوا: جاء ثانيًا من عنانه".

وإن جاء ولم تقض حاجته، وقد أصيب ببعض ما معه،
قالوا: "ذهب يبتغي قرناً فلم يرجع بأذنين".

وتقول لمن اعتذر بالمنع بالعدم وعنده ما سئل "أبى الحقين
العذرة".^(٢)

وقيل إن أصله أن رجلاً ضاف قومًا فاستسقاهاهم لبنًا، وعندهم
لبن قد حقنوه في وطب فاعتذروا أنه لا لبن عندهم، فقال: "أبى
الحقين العذرة"، ويقال: العذرة طرف البخل. قال إسماعيل
القرطبي في الفضل بن الربيع:

لن أخطأت في حقك ∴ ما أخطأت في منعي
لقد أخللت حاجاتي ∴ بواد غير ذى زرع
أما عن شرار الإخوان فقد كتب إبراهيم بن العباس إلى
محمد بن عبد الملك الزيات:

وكنت أخى بإخاء الزمان ∴ فلما نبا صرتُ حربًا عوانًا
وقد كنت أشكو إليك الزمان ∴ فأصبحت فيك أسب الزمانا
وكنت أعدك للنائبات ∴ فها أنا أطلب منك الأمانا
وقال المتقرب العبدى:

(١) غيراء الظهر : الأرض، أى جاء لا يصاحبه غير أرضه التى يجيى ويذهب فيها.

(٢) الحقين: اللبن الحقوق، العذرة بالكسر: العذر.

فإما أن تكون أخى بصدق ∴ فاعرف منك غنى من ثمينى
وإلا فاجتنبنى واتخذنى ∴ عدواً أتقيك وتتقبنى

وعن المواعيد وتنجزها فإن العرب تضرب المثل فى الخلف
بعرقوب. قال ابن الكلبي عن أبيه "كان عرقوب رجلاً من العماليق،
فأتاه أخ له فسأله شيئاً، فقال له عرقوب: إذا أطلع تخلى، فلما أطلع
أتاه، قال: إذا أبلح أتاه، فقال : إذا أزهى، فلما أزهى أتاه، قال: إذا
أرطب، فلما أرطب أتاه، قال إذا صار تمرًا، فلما صار تمرًا جدّه
من الليل، ولم يعط أخاه شيئاً.
قال الأشجعي:

وَعَدَتِ وكان الخلف منك سجية ∴ مواعيد عرقوب أخاه بيترب
وتقول العرب فيما اصطنع معروفًا ثم أفسده بالمنّ، أو قطعه
حين كاد يتم: "شوى أخوك حتى إذا أنضج رمدّ".
وتقول فيمن اغتتم الشئ من البخيل ولو كان نزرًا: "خذ من الرّصفة
ما عليها"^(١) ومثل هذا نقول:

خذ القليل من اللئيم وذمّه ∴ إن اللئيم بما أتى معذور

أما الترغيب فى قضاء الحاجة فقد قال ابن عباس : "صاحب
المعروف لا يقع، فإذا وقع وجد متكأ، هذا نحو قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم: "صنائع المعروف تقى مصارع السوء"

(١) الرصفة: الحجارة المحماة يوغر أى (يسخن بها اللبن، وهى إذا أُلقيت فى اللبن لزق بها شئ منه).

وقال رجل لبثينة: "إذا اتخذتم عند رجل يدًا فانسوها، وقالوا:

المنة هدم الضيعة، قال أحد الشعراء:

أفسدت بالمن ما أسديت من حسن .: ليس الكريم إذا أسدى بمنان
ولكن فتي الفتيان من راح واغتدى .: لشرب صبوح أو لشرب غبوق

وأما الحرص والإلحاح فقد ورد في كتاب كليله ودمنة: "لا
فقر ولا بلاء كالحرص والشره، ولا غنى كالرضا والقناعة، ولا
عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق، قال
أعرابي:

أيها الدائب الحريص المُنَى لك رزق وسوف تستوفيه
قبَّح الله نائلاً ترجيه من يدى من تريد أن تقتضيه
إنما الجود والسماح من يعطيك عفواً وماءً وجهك فيه
لا ينال الحريص شيئاً فيكفيه وإن كان فوق ما يكفيه
فسل الله وحده ودَّع الناس وأسخطهم بما يرضيه
لا ترى مُعطيًا لما منع الله ولا مانعًا لما يعطيه

الكتاب التاسع " كتاب الطعام "

وفيه الأخبار عن الأطعمة الطيبة والحلواء والسويق واللبن
والتمر والخبائث منها التي يأكلها فقراء الأعراب ، ونازلة الفقر
وأدب الأكل وذكر الجوع والصوم وأخبار الأكلّة والمنهومين
والدعاء إلى المآدب والضيافة وأخبار البخلاء بالطعام وسياسة
الأبدان بما يصلحها من الغذاء والحمية وشرب الدواء ومضارّ

الأطعمة ومنافعها ومصالحها ونُتِفَ من طَبِّ العرب والعجم وما جاء في ذلك من النوارد وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار.

من ذلك أن الأصمعي قال: كنا عند الرشيد فقَدِّمْتُ إليه فالودجة^(١) فقال: يا أصمعي حدثنا بحديث مُزوّد، فقلت إن مُزوّدًا أبا الشماخ كان غلاماً جشعاً، وكانت أمه تؤثر عيالها بالطعام عليه، وكان ذلك يحفظه^(٢) فخرجت أمه ذات يوم تزور بعض أهلها، فدخل مُزوّد الخيمة، وعمد إلى صاعٍ دقيق، وصاع من تمر، وصاع من سمن، فجمعه ثم جعل يأكله، وهو يقول:

ولما غَدَت أُمى تميز نباتها

أغرَّت على العِكم^(٣) الذى كان يُمنع

لَبَكَّتْ بصاعى حِنطة صاع عجوة

إلى صاع سمن فوقه يترَبَّع^(٤)

ودبَلَّتْ أمثال الأثافي^(٥) كأنها

رؤس نِقَاد^(٦) قَطَّعَتْ يوم تجمع

وقلت لبطنى أبشر اليوم إنه

حمى أمنا مما تحوز وترفع

(١) فالودجة: حلواء يسوى من لب الحنطة (فارسية معربة).

(٢) يحفظه: يغضبه.

(٣) العِكم: بكسر العين: النمط تجعله المرأة كالوعاء تنخّر فيها متاعها.

(٤) يترَبَّع: لا يستقر له وجه لكثرة.

(٥) الأثافي: مفردا الأثفية وهي أحجار ثلاثة توضع عليها القدر.

(٦) نِقَاد: مفردا نقدة وهي الصغيرة من الغنم، والذكر والأنثى في ذلك سواء..

فإن كان مصفوراً^(١) فهذا دواؤه

وإن كان غرثاناً^(٢) فذا يوم تشبع

أما الجوع والصيام فقد قدم أعرابي على ابن عم له بالحضور، فأدركه شهر رمضان، فقيل له: أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان، قال: وما شهر رمضان؟ قالوا: الإمساك عن الطعام، قال: أبالليل أم بالنهار؟ قالوا: لا: بل بالنهار، قال: أفيرضون بدلاً من الشهر؟ قالوا: لا، قال: فإن لم أصم فعلوا ماذا؟ قالوا: تُضْرَب وتُحْبَس، فصام أياماً فلم يصبر، فارتحل عنهم وجعل يقول:

يقول بنو عمي وقد زرت مصرهم ∴ تهيأ أبا عمرو لشهر صيام
فقلت لهم هاتوا جرابي ومزقوه ∴ سلام عليكم فاذهبوا بسلام
فبادرت أرضاً ليس فيها مسيطر ∴ على ولا مناع أكل طعام

وأدرك أعرابي شهر رمضان فلم يصم، فعذلتها امرأته في الصوم، فزجرها وأنشأ يقول:

أتأمرني بالصلاة لأدرّ درّها ∴ وفي القبر صوم يا أميم طويل

أما عن الضيافة وأخبار البخلاء على الطعام فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الخير أسرع إلى مطعم الطعام من الشفرة في سنام بعير. سئل أقرى أهل الإمامة الضيف: كيف ضبطتم القرى؟ قال: بأننا لا نتكلف ما ليس عندنا. وقال الخزيمي:

(١) مصفوراً: أى به صُفِر، وهو داء في البطن يصفّر منه الوجه.

(٢) الغرثان: الجائع.

أضاحك ضيفى قبل إنزال رحله
ويُخصب عندى والمحل جضيف
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى^(١)
ولكنمّا وجه الكريم خصيب

الكتاب العاشر " كتاب النساء " وفيه الأخبار عن اختلاف
النساء فى أخلاقهنّ وخلقهنّ وما يُختار منهنّ للنكاح وما يُكره
واختلاف الرجال فى ذلك، والحسن والجمال والقبح والدّمامة
والسواد والعاهات والعجز والمشايخ والمُهور وخطب النكاح
ووصايا الأولياء عند الهداء وسياسة النساء ومعاشرتهنّ والدخول
بهنّ والجماع والولادات، وما جاء فى ذلك من النوادر وأبيات
الشعر المشاكلة لتلك الأخبار. من ذلك قول بعض المحدثين فى
الحسن والجمال:

الخال يقبح بالفتى فى خده
والخال فى خد الفتاة مليح
والشيب يحسن بالفتى فى رأسه
والشيب فى رأس الفتاة قبيح

أما مهور النساء فقد جاء خاطب إلى قوم، فقال: أنا فلان ابن
فلان، وأنتم لا تسألون عنى أعلم بى منكن، قالوا: صدقت. فما
تبذل؟ فأنشد يقول:

ألا أبلغ لديك بنى يزيد

بأنى لا أريد إلى النساء
سوى وُدّى لهن وأنّ عندى
ثريدًا بالغداة وبالعشاء

أما وصايا الأولياء للنساء فقد قال أبو الأسود الدؤلى: لابنته:
إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وعليك بالزينة، وأزين زينة
الكحل، وعليك بالطيب، وأطيب الطيب إسباغ الوضوء، وكونى كما
قلت لأمك فى بعض الأحاديث:

خذى العفو منى تستديمى مودتى
ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
فانى وجدت الحب فى الصدر والأذى
إذا اجتمع لم يلبث الحب يذهب

أما سياسة النساء ومعاشرتهن فقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: "إنما المرأة خلقت من ضلع عوجاء، فإن تحرص على
إقامتها تكسرهما فدارها تعش بها"

ولقد مرت أعرابية بقوم من بنى نمير، فأداموا النظر إليها،
فقالت: يا بنى نمير، والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين، لا، بقول الله
تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)^(١) ولا، بقول
جرير:

فغض الطرف إنك من نمير

فَلا كعبًا بلغت ولا كلابا

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا.

بات أعرابي ضيفاً لبعض الحضر، فرأى امرأة فَهَمَّ أن يخالف إليها^(١) فمنعه الكلب، ثم أراد ذلك نصف الليل فمنعه ضوء القمر، ثم أراد ذلك فى السحر فإذا عجوز قائمة تصلى فقال: لم يخلق الله شيئاً كنت أكرهه

غيرَ العجوز وغيرَ الكلب والقمر

هذا يبوح وهذا يستضاء به

وهذه شيخة قَوَّامة السحر

أما الغزل فقد قال أبو صخر الهزلى:

أما والذى أبكى وأضحك والذى

أمان وأحيا والذى أمره الأمر

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى

أليفين منهما لا يروعهما الذر

فيا هجر ليلي قد بلغت بى المدى

وزدت على ما لم يكن بلغ الهجر

ويا حبها زدنى جوى كل ليلة

ويا سلوة الأيام موعدا الحشر

وصلتك حتى قيل لا يعرف القلى

وزرتك حتى قلت ليس له صبر

(١) القرى : ما يقدم للضييف إليها: يجثها خفية، وفى غفلة من الرقباء.

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها
لما انقضى ما بيننا سكن الدهر
إذا ذكرتُ يرتاح قلبي لذكرها
كما انتفض العصفور بالله القطر
هل الوجد إلا أن قلبي لو دنا
من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر

لقد تنوعت موسيقى هذه الأبيات وتناسقت مع العواطف،
وتآلفت أفكارها، فبدت صورها قريبة من الحقيقة، فلا هى صور
خيالية رومانتيكية حاملة، ولا هى ضبابية تتحدى الذكاء والفتنة.

ويبدو تأثر ابن قتيبة فى هذا الكتاب بإسلوب الجاحظ
"٢٥٥ هـ" فى كتابه البيان والتبيين ، فالجاحظ عقد كتابه - وإن كان
فيه قدر من الاستطرادات - للدفاع عن العرب ضد ادعاءات
أعدائهم من الموالى ، وابن قتيبة عقد كتابه - وإن كان أحيانا يميل
إلى التسلية والفكاهة - لكى ينير الطريق أمام المتأدب ليروض نفسه
على الأخذ بما فيها من سنة حسنة ، وسيرة قويمه وأدب كريم ،
وخلق عظيم ..^(١)

وقد طبع " عيون الأخبار " فى فاير - ستراسبورج سنة
١٩٠٠ - ١٩٠٨م " بتحقيق المستشرق كارل بروكلمان، وهذه
الطبعة مكونة من أربعة أجزاء ، ثم طبعته دار الكتب المصرية .
وتوالت طبعاته فيما بعد ، وآخرها طبعة " ١٩٧٣م " .

٦ - المعانى الكبير :

ذكره ابن النديم باسم " معانى الشعر الكبير " ^(١) بيد أن المؤلف أشار فى كتابه " عيون الأخبار " إلى أن اسمه " أبيات المعانى " ^(٢) قائلاً : " وقد فسرت هذا الشعر فى كتابى المؤلف فى أبيات المعانى فى خلق الفرس " ^(٣) .

ويضم هذا الكتاب بين دفتيه القصائد والمقطوعات الشعرية ، وبعض الأبيات المتفرقة فى ثناياه ، وهو فى رأينا - عظيم الفائدة ، لأنه فسر الأبيات الشعرية ، وشرحها ، كما أنه استفاد فى الأشعار الغربية مع بيان معانيها . وفى الكتاب اثنا عشر باباً سَمَّى ابن قتيبة كل باب منها كتاباً ، وهى : " كتاب الخيل ، كتاب السباع ، كتاب الطعام والضيافة ، كتاب الذباب ، كتاب الوعيد والبيان ، كتاب الحرب ، كتاب الميسر ، كتاب فى وصف الشعر والشعراء ، كتاب التطير والفأل ، كتاب فى وصف الآثار والآداب ، وكتاب مكارم الأخلاق " .

وقد طبع المعانى الكبير فى حيدر أباد - الدكن - سنة ١٣٦٨ هـ فى مجلدين ، بعناية ومراجعة المستشرق الدكتور كرنكو . krinkou

١- الفهرست : ص ١١٥ .

٢- أبيات المعانى تعنى فى اصطلاح الأدباء ما كان باطنه يخالف ظاهره ، وإن لم يكن فيه شئ من غريب اللغة "

٣- عيون الأخبار : ج ١ ص ١٥٨ .

٧- غريب الحديث :

ذكره معظم من ترجم لابن قتيبة^(١) وواضح من اسمه أنه يشتمل على الأحاديث الغريبة ، قام بشرحها مؤيداً رأيه بما ذكره علماء المدرستين البصرية والكوفية ، كما أنه فسر دلالة بعض الألفاظ مثل الكافرين ، والظالمين ، والصلاة ، والزكاة إلى آخره

وقد طبع لأول مرة في العراق سنة ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م " في مطبعة العاني التابعة لوزارة الأوقاف ، بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري .

٨- تأويل مختلف الحديث :

وواضح من اسمه أنه يفسر الأحاديث المختلفة والتي أشكل فهمها ، والهدف من تأليفه هذا الكتاب هو التعرف على الأحاديث المتناقضة ، وتصحيح بعضها ، تلك التي ادعى عليها المتكلمون التناقض.

وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ في مطبعة كردستان العلمية باسم " تأويل مختلف الحديث " ثم نشره الشيخ محمد زهري النجار في مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة سنة ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م.

١- تاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠ ، الفهرست : ص ١١٦ ، وفيات الأعيان : ج ٣ ص ٤٢ ، معجم الأدباء : ج ٤ ص ٣٤ .

٩- المعارف :

وقد سجل فيه ابن قتيبة فنوناً كثيرة من المعارف ، يقول فى مقدمته له : " وكتابى هذا يشتمل على فنون كثيرة من المعارف ، أولها مبتدأ الخلق ، وقصص الأنبياء ، وأزمانهم ، وحُلاهم ، وأعمارهم إلى آخره ^(١) "

والكتاب يبرز اهتمام ابن قتيبة بالتاريخ عن طريق إعطاء معلومات عن الأحداث المهمة التى تخصه ، وهو كذلك يعبر عن اهتمام ابن قتيبة بكتب السير والمغازى ، والطبقات التى أُلِّفَتْ قبله. وفى رأينا ، أن هذا الكتاب يعد من كتب الثقافة الإسلامية ، التى تهدف إلى التعرف على قصص الأنبياء والمرسلين وصفاتهم وأعمارهم ، وغير ذلك .

وقد طبع لأول مرة بعناية ومراجعة المستشرق الألماني اف ويستنفلد wustenfled سنة " ١٨٥٠ " الميلادية، ثم توالى طبعاته فيما بعد ، أفضلها طبعة دار المعارف بالقاهرة ، بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة .

١٠- الأنواع :

وقد ذكره معظم من ترجموا لابن قتيبة ^(٢) تحدث فيه ابن قتيبة عن علم الميقات عند العرب ، والسُّحب ، والبرق ، ومساقط النجوم ،

١- نظر مقدمة كتاب المعارف .

٢- بغية الوعاة: ج٢ ص ٢٦٣ ، إنباه الرواة: ج٢ ص ١٤٦ ، وفيات الأعيان: ج٣ ص ٤٣

ومواقع الكواكب وأسمائها ، والأزمان وتحديدها ، وتنبؤات العرب الفلكية والجوية ... وغير ذلك .

ونظن أن ابن قتيبة كان يرحل إلى الأعراب الفصحاء في البادية - الذين لهم دراية في علم الفلك - يستقى منهم معلومات هذا الكتاب .

ويذكر الدكتور عبد الحميد الجندى ، نقلاً عن الأدب الفارسي "Literary History Of Persia" أن بعض المستشرقين من علماء الفلك ، وعلى رأسهم إدوارد بروان "E. Broune" يعتبرون ابن قتيبة من كبار علماء الفلك .

ونحن نؤيدهم في هذا الرأي ، على أساس أن كتاب " الأنواء" فيه معلومات صادقة عن النجوم والكواكب وأسمائها إلى آخره ... ، ومما يعضد كلامنا هذا ويدعمه ، أنه كان يرحل إلى العرب الفصحاء ليستقى منهم مادة كتابه.

١١ - الميسر والقداح :

ذكره معظم مترجمي ابن قتيبة ^(١) ومن مقدمة الكتاب نعرف أنه صنفه استجابة لرغبة أحد مريديه ، الذي أبدى له حاجته في التعرف على نفع الميسر ، وأسماء القداح عند العرب ^(٢).

ويبدو لنا اهتمام ابن قتيبة بالمفردات اللغوية ، وتفسير دلالة بعض الألفاظ ، ومما يؤيد هذا ، تفسيره لآيات الخمر وبعض الأبيات الشعرية التي جمعها في الميسر .

١- وفيات الأعيان: ج٣ ص ٤٣ ، وإنباه الرواة: ج٢ ص ١٤٦ ، والفهرست: ص ١١٦

٢- انظر مقدمة كتاب الميسر والقداح.

وقد نشر الكتاب محققاً لأول مرة الشيخ محب الدين الخطيب سنة ١٣٤٣هـ وطبعه بالمطبعة السلفية بالقاهرة ، ثم طُبِع مرة أخرى سنة ١٣٨٥هـ.

١٢ - المسائل والأجوية فى الحديث واللغة :

ذكره معظم من ترجم لابن قتيبة ^(١) ومن عنوانه نفهم أنه عبارة عن أسئلة فيها ألفاظ عربية ، وجهها ابن قتيبة لأحد تلاميذه ، ثم يجيب عليها ، مفسراً دلالة بعضها ، ويعد هذا الكتاب - فى رأينا - من الكتب اللغوية التى أثرى بها ابن قتيبة المكتبة اللغوية .

والمسائل والأجوية كتاب صغير الحجم نُشر فى مكتبة المقدسى سنة ١٩٤٩ ، ثم نشر بعد ذلك فى مجلة المورد البغدادية فى العدد الرابع ، سنة ١٩٧٤م ^(٢).

١٣ - الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة

وقد ذكره كثير ممن ترجموا لابن قتيبة ^(٣) وذكره السيوطى باسم " الرد على المشبهة " ^(٤).

وفى الكتاب ، راح ابن قتيبة يفسر بعضاً من الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة التى اختلف فى فهم معانيها ، هذا من خلال

١- إنباه الرواة: ج ٢ ص ١٤٦ ، وفيات الأعيان: ج ٣ ص ٤٣ ، الفهرست: ص ١١٦

٢- مجلة المورد البغدادية ، العدد الرابع ، لسنة ١٩٧٤م

٣- إنباه الرواة: ج ٢ ص ١٤٦ ، والفهرست: ص ١١٦ .

٤- بغية الوعاة: ج ٢ ص ٦٣ .

رده على الجهمية والمشبهة ، ومن ثم نفهم من عنوانه أنه ألفه للرد عليهما بأدلة من الكتاب والسنة .

وقد طبع هذا الكتاب فى مطبعة منشأة المعارف بالإسكندرية سنة ١٩٧١ م ، وطبع أيضاً سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٣٠ م ضمن منشورات مكتبة المقدسى بالقاهرة .

١٤ - تلقين المتعلم من النحو:

وقد ذكر بعض مترجمى ابن قتيبة أن له كتاباً فى النحو ، وأنه خلط عليه بحكايات عن الكوفيين ، لم يكن يأخذها عن ثقات ، وكان يتسرع فى أشياء لا يقوم بها . نحو تعرضه لتأليفه كتاباً فى النحو^(١) بيد أن أغلب مترجميه أكد أن له كتابين فى النحو " جامع النحو الكبير " و " جامع النحو الصغير " ^(٢) .

وقد نص بروكلمان على أن له كتاباً بعنوان "تلقين المتعلم من النحو"^(٣) ومن مقدمة كتابه "تلقين النحو" نعرف أنه ألفه من أجل التعليم والإفادة لطلاب العلم ، حيث يقول: "هذا كتاب تلقين المتعلم من النحو ، وفيه إفادة للعالم وتفهم للمتعلم ، وأول ما يُبتدأ به التلقين

١- أبو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين : ص ١٣٧ .

٢- الفهرست : ص ٨٦ ، وتاريخ بغداد : ج ١٠ ص ١٧٠ ، وإنباه الرواة : ج ٢ ص ١٤٦ ، وبغية الوعاة ج ٢ ص ٦٤ .

٣- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى : ج ٢ ص ٢٢٩ .

إعراب "بسم الله الرحمن الرحيم" وأول ما يُلقَّن المتعلم معرفة الحركات من الرفع والنصب والجر...^(١)

وحين قرأناه، وجدناه يكرر لفظ " ما يُلقَّن المتعلم كثيراً، فهو يقول - مثلاً - باب ما يلقن من حروف الجر ^(٢) "وباب ما يضاعف من الحروف وكيف يلقن المتعلم إياها؟"^(٣)

وأنت - كما ترى - تلاحظ أننا ركزنا على إيضاح هذا الكتاب نظراً لأهميته في الدراسات النحوية .

وقد حقق " كتاب تلقين النحو " الدكتور جمال عبد العاطي مخيمر ، وعلق على مسائله وشواهد ، وظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٩ م ، في مطبعة وهبه حسان ، بالقاهرة .

وهناك عدد آخر من كتبه ، لم تصل إلينا ، لكن ورد ذكرها في أغلب المصادر التي ترجمت لابن قتيبة وبيانها :

١٥- كتاب إعراب القرآن ١٦- كتاب النخل

١٧- كتاب الأشربة ١٨- كتاب إصلاح الغلط في غريب الحديث

١٩- كتاب العلم ٢٠- كتاب فضل العرب والتبنيه على علومها

١- ابن قتيبة ، تلقين المتعلم من النحو : ص ٣٥.

٢- المصدر السابق : ص ٦١

٣- المصدر السابق : ص ٥١ .

- | | |
|----------------------|-------------------------------------|
| ٢١- كتاب جامع الفقه | ٢٢- كتاب التقيّة |
| ٢٣- كتاب القلم | ٢٤- ديوان الكتّاب |
| ٢٥- خلق الإنسان | ٢٦- دلائل النبوة |
| ٢٧- الجوابات الحاضرة | ٢٨- كتاب الصيام |
| ٢٩- آلة الكتّاب | ٣٠- الحكاية والمحكى |
| ٣١- كتاب الوحش | ٣٢- كتاب الجراثيم |
| ٣٣- حكم الأمثال | ٣٤- آداب العشرة |
| ٣٥- صناعة الكتابة | ٣٦- التفسير |
| ٣٧- تأويل الرؤيا | ٣٨- معجزات النبي صلى الله عليه وسلم |
| ٣٩- معانى القرآن | ٤٠- كتاب الفُرس |
| ٤١- عيون الشعر | ٤٢- كتاب القراءات |
| ٤٣- آداب القراءة | ٤٤- كتاب الوزراء |
| ٤٥- فوائد الدر | |

المبحث الثالث

بين أدب الكاتب وإصلاح المنطق

نحن إذا تبينا عنوان الكتاب " أدب الكاتب " وجدنا الكثير من الباحثين يسارعون بأيديهم وأذهانهم للبحث فيه على أساس أنه كتاب أدب ، يتناول دروب ذلك الفن ومسالكه ، ولكنهم يصابون بخيبة الأمل ، عندما يدركون أنه كتاب لغة ، فإذا ما حاولوا الانتفاع به احتاجوا إلى الجهد والعناء وإشحاذ الذهن حتى يتسنى لهم الغوص فى أبوابه ، وذلك أنه كتاب لغة ، يحمل منها ما يحتاج إلى سبر الغور والتنقيب والتمحيص فى تلك اللغة الحية المتطورة.

ولقد زعم الزاعمون ، وتعالى أصوات أهل العلم ، يقولون " إن كتاب أدب الكاتب " خطبة بلا كتاب ، و "إصلاح المنطق " كتاب بلا خطبة ، وهذا فيه نوع من التجوز، فإن "أدب الكاتب" قد حوى من كل شئ وهومفن ، وما أظن حملهم على هذا القول إلا أن الخطبة طويلة ، والإصلاح بغير خطبة^(١).

بل ، لقد ذهب آخرون إلى أن كتاب "أدب الكاتب" ما هو فى الحقيقة إلا استتساخ مبتور من كتاب "إصلاح المنطق" إذ ضمنه ابن قتيبة معظم الأبواب التى وضعها ابن السكيت فى كتابيه " الألفاظ

^١ - ابن خلكان ، وفیات الأعيان : ج ٣ ص ٤٢ .

وإصلاح المنطق" ^(١) منكرين بذلك جهود ابن قتيبة وفضله ، واصمين إياه بالبحود ونكران الجميل ، إذ إنه لم ينكر في مقدمة كتابه فضل ابن السكيت ، وفي كل ذلك إجحاف وعدم إنصاف.

وبالرغم من أن هذا الموضوع الذى نحن بصدده ، ليس بالموضوع الذى يستحق الخلاف ، ولكن إحقاقاً للحق وبعداً عن التعصب سآبين حقيقة هذا بإيجاز ، ودون إسراف.

أما أن "أدب الكاتب" خطبة بلا كتاب ، فلى وجهه نظر مبعثها ذلك التقديم القيم الذى صَدَّر به ابن قتيبة مصنفه ، واضعاً النقاط فوق الحروف مبيناً سبل الإفادة من تأليفه لهذا الكتاب ، بأنه يعالج داءً قد استشرى فى لغة العرب ، وهو داء اللحن والخطأ فى الكلام ، وأنه خشى على اللغة أن تتحدر ، أو يقل إدراك الناس لدقائقها ، ومعرفة الفروق بين مترادفاتهما ، وعلى قدر الحاجة يكون المدد ، فإن زاد أسرف ، وإن نقص أخل ، وما نراه إلا قد وقى بالغرض الذى من أجله صنف مصنفه ، فقد ألفه من أجل تهذيب الكتاب وإرشادهم إلى سنن الصواب ، ذلك أنهم قد أهملوا النظر فى العربية ، وجعلوا الكثير من مسائلها ، فكان هذا الكتاب القيم - فعلاً - بمثابة المرشد اللغوي الذى يكفل النجاح ، لمن أخذ بأشراطه ، وعمل بما نَوَّه عليه ، حتى يخلق كتاباً نابهيين ، ولأمر الكتابة حاذقين ، ولمعرفة قواعد رسم الكلمات فاهمين.

^١ - ابن السكيت ، مقدمة إصلاح المنطق : ص ١١ .

فعلى الرغم من أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية فى تلك الآونة - أعنى القرن الثالث الهجرة الذى عاش فيه ابن قتيبة - وفى تلك الأقاليم الإسلامية الجديدة ، وعلى الرغم من توافر العلماء على دراستها والتأليف فيها واصطناعها فى الآداب ، لم تسلم من انتشار اللحن والتغيير والانحراف على السنة العامة ، بل على السنة الخاصة كذلك - أعنى الكتاب والولاية والوزراء - ومما يؤيد هذا أن من يرجع إلى مقدمة أدب الكاتب يجد أن لغة المكاتبات الرسمية التى تصدر على السنة الخلفاء والوزراء لم تسلم من تسرب اللحن والخطأ والتصحيف والانحراف والبعد عن اللغة الفصحى ^(١) فاللحن فى الكلام أقبح من التفتيق فى الثوب ، والجدرى فى الوجه ^(٢) والسبب فى نشوء هذا اللحن - فى نظرنا - يرجع إلى اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى ، فنتج عن ذلك الاختلاط أن كثر اللحن وشاع الخطأ وتسربت العجمة ، حيث بدأ الأعاجم يتخذون اللغة الفصحى لغة لهم ، وحيث بدأ العرب يتزوجون من غير العربيات ومن هنا بدأ اللحن ، فالأعجمى حديث العهد باللغة العربية الفصحى ، ولسانه لا يطاوعه على النطق ببعض حروفها وكلماتها نطقاً سليماً ، ثم أخذ اللحن يشيع حتى بعد وضع قواعد النحو وأصوله وقوانينه ، بل يقال إنه ما وضعت قواعد النحو إلا بسببه ،

^١ - انظر مقدمة أدب الكاتب : ص ٦ وما بعدها.

^٢ - د: رمضان عبد التواب ، لحن العامة والتطور اللغوى: ص ٩.

ثم بدأ اللحن يسرى أيضاً على ألسنة الخاصة أنفسهم ، أعنى بذلك الخلفاء والولاة وكتابة الدواوين .

فهذا موقف من المواقف المخزية يدل على جهل الكتاب باللغة الفصحى ، فيحكى عن أحمد بن عمار كاتب الخليفة المعتصم (١) - الذى عاصره ابن قتيبة - حين ورد عليه كتاب فيه " ومطرنا مطراً كثيرًا عنه الكأ فسأله الخليفة المعتصم . وما الكأ ؟ فتردد فى الجواب وتعثّر لسانه (٢) وها هو الجوالقى يوضح لنا دلالة هذا اللفظ ، يقول : " قال أبو محمد بن عبد الملك : الكأ ، النبات كله رطبه ويابس ، والرطب خاصة يقال له خلى ، واليابس يقال له خشيش " (٣) .

وكاتب آخر هو شجاع بن القاسم ، قرأ على المستعين كتابا ، ذكر فيه " حاضر طيئ " فصحفه تصحيفاً أضحك منه الحاضرين " (٤) قال الجوالقى " صحف هذه اللفظة فقال : " جاء ضرطى " (٥) .

^١ - الخليفة المعتصم : هو الابن الثالث للرشيد ، وقد استكثر من الأتراك والفرس حتى ضاقت بهم بغداد ، فاضطر لأن ينشئ لهم مدينة جديدة هى سامراء " سر من رأى " سنة ٢٢١ هـ ، وأراد أن يجعلها العاصمة الرسمية للملكة .

^٢ - ابن قتيبة ، أدب الكاتب : ٦ وما بعدها .

^٣ - الجوالقى ، شرح أدب الكاتب : ص ٤٣ .

^٤ - ابن قتيبة ، مقدمة أدب الكاتب : ص ٧ .

^٥ - الجوالقى ، شرح أدب الكاتب : ص ٤٣ .

وكاتب آخر يجهل الألفاظ الموضوعية في وصف برذون^(١) أهده ، وقد بعثت به إليك أبيض الظهر والشفيتين ، فقيل له لو قلت أرثم ألمظ ، قال : فبياض الظهر ما هو ؟ قالوا : لا ندري ، قال : إنما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر^(٢) قال الجواليقي : " والبرذون من الخيل ما كان من غير نتاج العرّاب ، والأنثى برذونة وإذا إبيضت جحفة الفرس العليا فهو أرثم وإذا ابيضت جحفته السفلى فهو ألمظ ، فأراد أبيض الظهر ، فهو أرحل ، وقيل الأرحل الذى موضع ملبده بياض من البلق "^(٣) .

ونفهم مما سبق أن الكتاب جهلوا الألفاظ الموضوعية لبياض جحفة الفرس " شفته وبياض ظهره " ، وهى الأرثم والألمظ والأرحل .

وآخرون من الكتاب تغيب عنهم الفروق الدقيقة بين مدلولات الألفاظ "فلا يستطيعون التفريق بين الوكع والكوع ، ولا الحنف من الفدع ، ولا اللمى من اللطع"^(٤) قال الجواليقي : " الوكع ميل إبهام الرجل على الأصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجاً والكوع اعوجاج اليد من قبل الكوع ، وهو رأس الزند الذى يلى الإبهام والحنف إقبال كل واحدة من الإبهامين على صاحبتهما فى قول الأصمعى ، وقال ابن الأعرابى: الأحنف الذى

^١ - البرذون : يعنى الفرس غير العربى.

^٢ - ابن قتيبة ، مقدمة أدب الكاتب : ص ٧.

^٣ - الجواليقي ، شرح أدب الكاتب : ص ٤٤.

^٤ - ابن قتيبة ، مقدمة أدب الكاتب : ص ٨.

يمشى على ظهر قَدَمِيَّة ، والقدع ، قال الأصمعي: أن تميل الكف على وحشيتها ، واللمى سمرة فى الشفة تضرب إلى السواد ، واللطع له موضعان، أن تذهب الأسنان وتبقى أصولها ، واللطع أيضاً من الشفاه بياض يصيبها"^(١)

ونستخلص من كل ما سبق أن الذى دفع ابن قتيبة لتأليف "أدب الكاتب" هو أن يأخذ بأيدي هؤلاء الكتّاب وغيرهم ممن يجهلون الفروق الدقيقة بين الألفاظ ومدلولاتها، فلا يستطيعون التفريق بينها وبين مدلولاتها ، ومن ثم لم يكن هدف ابن قتيبة وغيره ممن ألفوا فى لحن العامة أن يسجلوا لنا شيئاً من مظاهر تطور اللغة ، بل كان همهم الأكبر هو إعادة هؤلاء الخارجين على الفصحى إلى حظيرة اللغة القديمة بأن يجمعوا طائفة من الألفاظ التى يخطئ فيها الناس فى زمانهم ، ويبرهنوا على خطئها ، بالرجوع إلى المادة التى جمعها اللغويون الأوائل من أفواه العرب"^(٢).

ومن مقدمة الكتاب ، نعرف أن ابن قتيبة وضعه لبيان ما يجب أن يكون عليه كتّاب الديوان ، وما يحتاج إليه فى صناعة الكتابة من مختلف العلوم والثقافة .

^١ - الجواليقي ، شرح أدب الكاتب : ص ٤٥ وما بعدها.

^٢ - د: رمضان عبد التواب ، لحن العامة والتطور اللغوى: ص ٦٤ وما بعدها.

ويبدو أن صلة ابن قتيبة بوزير الدولة "عبيد الله بن يحيى ابن خاقان الذى تولى الوزارة فى عهدى المتوكل والمعتمد من سنة ٢٣٦ هـ إلى سنة ٢٥٦ هـ ، "هى التى هيات له وضع هذا الكتاب ، فتوسل به إليه ، وأحسن صلته ، واصطنعه ، وقدمه للمتوكل ، وأحسن الثناء عليه عنده ، حتى صرفه المتوكل إلى بعض عمله" (١) ومعنى هذا أن ابن قتيبة أَلَّفَ أدب الكاتب لأبى الحسن عبيد الله ابن يحيى بن خاقان وزير المعتمد على الله ابن المتوكل على الله الخليفة العباسى .

ولما كانت اللغة وسيلة التفاهم بين الأفراد ، وحاملة المعانى التى تدور بشأنها المكاتبات فى أى عصر من العصور ، ولما كان الكتّاب يجهلون التفريق بين الألفاظ ومدلولاتها مما كان سبباً فى وقوعهم فى بعض الأخطاء ، فلم يكن بُدَّ - والحال كذلك - أن يسخط ابن قتيبة على طبقة هؤلاء الكتاب وأولئك - الذين تسربت لغة التخاطب ، والحياة اليومية إلى لغتهم الفصحى ، محاولاً الأخذ بأيديهم إلى مواطن الصواب ، مرشداً وهادياً لهم لجهلهم الشنيع باللغة الفصحى ، على النحو الذى تقدمت بعض نماذجه .

وبناء على ما سبق فإن ابن قتيبة صنف مصنفه لأهل زمانه الذين انصرف أكثرهم عن طلب الأدب ، وأهملوا النظر فى علوم الفقه والتفسير والفرائض واللغة والنحو " .

١ - ابن قتيبة ، مقدمة أدب الكاتب ، هامش : ص ٥ .

أما أن كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت كتاب بلا خطبة ، فقد يكونون قد ذهبوا مذهب الصواب ، إلا أننا نزع أن ابن السكيت ، إنما عدلَ عن الخطبة على اعتبار أن قارئ مصنفه يتميز بالفطنة والذكاء ، خصوصاً أن مصنفه هذا لم يكن إلا من أجل طبقة المعلمين لإصلاح ما فسد من منطق المتعلمين ، وهو إن قصرَ في هذا فإنه أفاض في الكتاب مما حوى ، إذ ضمنه من اللغة ما وسعه الجهد والإدراك ، من وضع متشابه الكلم ومختلفه وتصنيفه في أبواب ارتآها ، والتي زعم الزاعمون بعد ذلك أن ابن قتيبة نقل معظمها ، ورغم نقله أنكر وأغفل فكر سابقه وفضلهم.

وحقيقة ذلك ليست كذلك ، إذ إن درجات العرفان تتفاوت باختلاف الأنفس ووجهات النظر ، فإنه إن كان يحمد للسابقين جهودهم على ما حفظوا ، أو دونوا ، فقد نالوا ما هدفوا إليه ذلك الحمد من خلال المكانة ، أو العطايا، وما نحمده لهم من قبيل التفضل من المعاصرين أو العرفان بالجميل كل حسب رؤياه ...

أما عن تلك الاستفادة والنقل من ابن السكيت ، فنحن لا ننكر هذا ولا يؤخذ عليه ذلك ، إذ إن من الطبيعي أن تتوارث العلوم ، فيستفيد اللاحقون من السابقين ، فأستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب ذكر أن ابن قتيبة يلخص كلام ابن السكيت بلفظه ، ولم يعترف بذلك ابن قتيبة^(١).

ثم استدل على ذلك بالأمثلة التى أوردها ابن قتيبة فى "باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسین" ^(١) وقارنها بأمثلة ابن السكيت فى "باب ما يتكلم فيه بالصاد مما يتكلم به العامة بالسین ومما يتكلم فيه بالسین ، فيتكلم فيه العامة بالصاد " ^(٢).

ويُبيِّنُ أستاذنا أيضاً أن هذا ليس مقصوراً على هذا الباب، بل إن المرء ليحس به فى أبواب كثيرة ، ولا سيما تلك التى يتفق عناوينها فى الكتابين " ^(٣). وحقيقة الأمر أنه عند إمعان النظر فى "أدب الكاتب" ومراجعته على إصلاح المنطق، نجد أن ابن قتيبة نقل - بالفعل كما ذهب أستاذنا الدكتور رمضان - من إصلاح المنطق ، وهذا يكون على اعتبار السبق والمعاصرة ، وهى استفادة لا يمكن إنكارها بأية حال من الأحوال ، ولكن لم نصم ابن قتيبة بما ليس فيه ، فهو عالم ، فقيه ، لغوى ، نحوى ، اتسم بالورع والتقوى ، وسعة الاطلاع ، وقوة الحجة ، وطول الباع ... فكيف نصفه بأنه نقل عن ابن السكيت معظم أبواب كتابه "إصلاح المنطق" وننسى أن الذكاء الإنسانى يتسم بالتشابه الفطرى فى بعض معالجات الأمور ؟!

وحقيقة أخرى وهى أن ابن قتيبة اطلع على إصلاح المنطق " على اعتبار السبق والمعاصرة ، التى دفعت أهل العلم إلى هذا

^١ - ابن قتيبة ، أدب الكاتب : ص ١٣٤ .

^٢ - ابن السكيت ، إصلاح المنطق من : ص ١٨٣ : ص ١٨٥ .

^٣ - د: رمضان عبد التواب ، لحن العامة : ص ١٦٢ وما بعدها .

التوهم ، فابن السكيت ، توفي عام (٢٤٤هـ) وابن قتيبة توفي عام (٢٧٦هـ) وبين هذا وذاك "٣٢" عاما، ظل ابن قتيبة فيها باحثاً للعلوم على اختلاف مصادرها ومنابعها ، ورغم هذا الاطلاع لا نجزم بصحة ما ذهبوا إليه ، بل لا يمكن أن نقبل منه إلا ما تأكدنا منه ، إذ إن ابن قتيبة قد أورد في كتابه بعضاً من العناوين التي استعملها ابن السكيت ، ولكنه لم يدرج تحتها ما أدرجه ابن السكيت رغم تقارب المنظور الذي أشارت إليه هذه العناوين.

ومما يؤيد صحة ما ذهبنا إليه ، أننا بعد أن اطلعنا على مقدمة " أدب الكاتب" يطالعنا عنوان في كتاب المعرفة وهو "باب ما تضعه الناس في غير موضعه"^(١) وهو نفس العنوان في " إصلاح المنطق" باب ما تضعه العامة في غير موضعه "^(٢).

وبتناول هذين البابين عند كليهما ، وجدنا أن ابن قتيبة يرشد إلى جهة الطريق السليم ، متفرداً بذاتيته المصطبغة بالصبغة الخاصة المعتمدة على التحديد ، وهذا لا يؤخذ عليه ، إذ إنه من الطبيعي أن تتوارث العلوم ، فيستفيد اللاحقون من السابقين ، وهو في هذا الباب لا يتناول مما أورده ابن السكيت إلا لفظتى : [الملة] و [خرجنا ننتزعه] وحين مقارنة ذلك ، نجد أنه قد اختلف عنه في تناولهما.

^١ - ابن قتيبة ، أدب الكاتب : ص ١٧ : ص ٣٦.

^٢ - ابن السكيت ، إصلاح المنطق من ص ٢٨٤ : ص ٢٨٧.

يقول ابن قتيبة : و الملة " يذهب الناس إلى أنها الخبزة ،
 فيقولون أطعمنا ملة ، وذلك غلط ، إنما الملة موضع الخبزة ،
 وسمى بذلك لحرارته ، ومنه قيل فلان يتململ على فراشه ،
 والأصل يَتَمَلَّل ، فأبدل إحدى اللامين ميماً ، يقال مَلَلْتُ الخبز في
 النار أملها ملاً ، والصواب أن تقول أطعمنا خبز ملة " (١) .

ويقول ابن السكيت : أكلنا ملة ، وإنما الملة الرماد الحار ،
 قال الشاعر (٢):

لا أشتم الضيف إلا أن أقول له

أباتك الله في أبيات عمار

أباتك الله في أبيات معتنز

عن المكارم لا عف ولا قار

جلد الندى زاهد في كل مكرمة

كأنما ضيفه في ملة النار

^١ - أدب الكاتب : ص ٣٢ وما بعدها.

^٢ - وردت هذه الأبيات في إصلاح المنطق : ص ٢٨٥ .

و حين عقد مقارنة بين هذين العالمين فى استعمالهما للفظ " الملة " يتضح لنا ما يلى :-

اللفظ	تحليل ابن السكيت	تحليل ابن قتيبة
م ل م	١- قال ابن السكيت : أكلنا ملة.	١- قال ابن قتيبة : الملة يذهب الناس إلى أنها الخبزة، فيقول: أطعنا ملة
	٢- الملة : الرماد الحار .	٢- الملة : موضع الخبزة .
	٣- لم يعلل السبب فى تسمية اللفظ بهذا الاسم.	٣- علل لذلك قائلاً : سمي بذلك لحرارته.
	٤- لم يشر إلى الأصل الاشتقاقى للفظ	٤- أشار إلى أصله الاشتقاقى قائلاً: "ومنه قيل فلان يتململ على فراشه" .
	٥- لم يلمح ولم يتنبه إلى الإبدال بين اللام والميم.	٥- ألمح إلى إبدال اللام ميماً قائلاً : والأصل يتململ، فأبدل من إحدى اللامين ميماً
	٦- استدل على اللفظ ببيت من الشعر العربى.	٦- لم يستدل.

وحيث نمعن النظر فى هذه المقارنة بينهما للفظ " الملة " نجد أن ابن السكيت عندما أورد لفظ " الملة " قال : أكلنا ملة " " وإنما الملة الرماد الحار " دون أن ينتبه على الصواب والخطأ فى استعمال العامة لها ، كما أنه لم يعلل السبب فى تسميتها ملة ، بخلاف ابن قتيبة فإنه بعد أن أورد اللفظ ، نبّه إلى أن العامة - فى زمنه - كانوا يستعملونه استعمالاً خطأ فيقولون " أطعنا ملة " ثم نبّه إلى صوابه قائلاً : وذلك غلط : "إنما الملة موضع الخبزة" ولم يكتف بتصويبه فحسب ، لكنه ذكر السبب فى تسميته " ملة " قائلاً سمي بذلك لحرارته . هذا بالإضافة إلى أنه بيّن الأصل الاشتقاقى للفظ قائلاً : ومنه قيل فلان يتململ على فراشه. كما أنه - بحسه المرهف وشفافيته - ألمح إلى إبدال اللام ميماً فى اللفظ نفسه قائلاً : والأصل " يتململ " فأبدل من إحدى اللامين ميماً . وهذا يدلنا دلالة قاطعة على تذوقه لمخارج الحروف وصفاتها ودقة ذوقه اللغوى وحسه المرهف ودقة ملاحظاته ، وقدرته الفائقة على التحليل والاستنباط.

وبالرغم من كل ما قيل ودار فيه الخلاف ، فلاين قتيبة اليد الطولى فى مصنفه الذى أضفى عليه منطوية العالم، العارف ، المتبحر فى علوم اللغة ، المتمسك بالمنهج الانتقائى فى دراسته للغة - فمثلاً - لو تأملنا بعض أبواب " إصلاح المنطق " مثل :

- باب فَعَلَ وفِعَلَ باختلاف المعنى مثل " الحَمَلَ والحَمْلُ" ^(١)
- باب فَعَلَ وفِعَلَ باتفاق معنى مثل " السَلَّمَ والسَّلْم " ^(٢).
- باب فَعَلَ و فُعَلَ باختلاف معنى مثل " الكَبُرَ والكُورُ " ^(٣).

نجد أن بن قتيبة قد أبرز دقة ملاحظاته ، وقدرته على إدراك الفروق اللغوية البسيطة والتصنيف المبني على الحجة والتوضيح واستقصاء النظر ، وعنايته بالوجوه المختلفة في ضبط بنية اللفظ ، والذي يرجع معظمه إلى اختلاف اللهجات العربية - وإن لم ينسبها إلى أصحابها - فيعقد باباً ينتقى من تلك الأبواب السابقة ما يقع تحتها هذا ، فلو تأملت ودققت النظر لوجدت نماذج المختارة من "إصلاح المنطق" أبسط من أن تكون محور اهتمام بالاعتباس، فقد عَنَوْنَ لبابه في كتاب تقويم اللسان بقوله : "باب الحرفين يتقاربان في اللفظ وفي المعنى ويلتبان ، فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر" ^(٤).

ومن ناحية أخرى ، نلاحظ في كتاب الأبنية ، بعد أن يستفيض في شرح معاني "فعلت وأفعلت - مثلاً - يعود إلى صيغة أفعلت ، ليعدد معانيها مرة ثانية " ^(٥) ونحن نلتبس له ذلك لأنه -

^١ - إصلاح المنطق من ص ٣ : ص ٣٠.

^٢ - المصدر السابق من ص ٣٠ : ص ٣٢.

^٣ - المصدر السابق من ص ٣٢ : ص ٣٦.

^٤ - أدب الكاتب من ص ٢٣٨ : ص ٢٤٨.

^٥ - أدب الكاتب من ص ٣٤٢ : ٣٤٨.

فى رأينا - قصد إلى الجمع بين الجانبين المعجمى القائم على الحشد والجمع ، والتعقيدى القائم على التقنين ، فهو فى الموضع الأول اكتفى بسرد الأفعال على صيغة أفعال وسرد معانيها كذلك ، ثم عاد ليولى اهتمامه ببناء الكلمة ، فقصد إلى معنى بناء اللفظ.

وأياً ما كان الأمر فإن بحثه فى أبنية الأفعال والأسماء بحثاً علمياً ، قائماً على الاستقرار والتتبع ، وهو بذلك لم يهدف إلى محاولة حصر الأبنية فحسب ، فهذا أمرٌ قام به السابقون عليه ، ولكنه اهتم بذكر الأبنية التى تعدد ضبطها فحصرها ومثّل لها ، كما اهتم أيضاً بالأبنية النادرة فى كلام العرب ، والتى لم يأت على نظيرها إلا كلمة ، أو كلمتان ، أو ثلاث ، على نحو ما أورده - فيما نقله عن الأصمعى - وهو قوله : "ليس فى كلام العرب" فِعْلٌ " بكسر الفاء وفتح اللام ، إلا حرفان " دِرْهَم " و هِجْرَع " وهو الطويل المفرد فى الطول ^(١).

وهنا نلاحظ أن بن قتيبة لم يكتف بإيراد اللفظة ووزنها ، لكنه راح يشرح لنا دلالتها قائلاً : هِجْرَع " هو الطويل المفرد فى الطول . وإذا صحَّ هذا الظن يكون لابن قتيبة قصب السبق فى التأليف المعجمى على حساب نظام الأبنية ، وإن مهد له هذا الطريق أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ) فى أبواب الغريب المصنف ، وسيبويه ، والمبرد ."

والمقياس الصوابى عند عالمنا ابن قتيبة هو تسجيل الألفاظ من أفواه الفصحاء من الأعراب ، وهو بهذا يُعَدُّ فى زمرة المتشددین من اللغويين الذين لا يقبلون إلا الفصح ، ولا يتعاملون إلا بالأفصح من الألفاظ والتراكيب والجمل والعبارات، ويرفضون ما عداه ، ويعدونه لحناً وخطأً وغلطاً وانحرافاً.

ومما يؤيد ذلك قوله : " فلان يتصدق " إذا أعطى " وفلان يتصدق" إذا سأل ، وهذا غلط ، والصواب "فلان يسأل" وإنما المتصدق المعطى" ^(١) قال الله تعالى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنْ اللَّهُ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ^(٢).

ومن ذلك قوله : "ليس فى الكلام " فعلى "إلا بالألف واللام ، أو بالإضافة ، نحو "الصغرى" و "الكبرى" ولا تقل هذه امرأة صغرى ، كما لا تقول : "هذا رجل أصغر" حتى تقول "أصغر منك" وتقول "هذه الصغرى ، وهذا الأصغر" ^(٣).

وعلى الطرف الآخر ، يقيس ابن قتيبة على ما جاء شاذاً أو نادراً، مما دفع البطليوسى إلى لومه على هذا الصنيع ، لأنه جعل أشياء من لحن العامة ، وعَوِّلَ فى ذلك على ما رواه أبو حاتم عن

^١ - أدب الكاتب : ص ٢١ وما بعدها.

^٢ - سورة يوسف : آية ٨٨.

^٣ - أدب الكاتب : ص ٤٨٠.

الأصمعي ، وأجازها غير الأصمعي من اللغويين كابن الأعرابي ،
وأبى عمر الشيباني ... (١).

ونحن نرى أن هذا لا يؤخذ عليه ، لأن علماءنا القدامى
أجازوا القياس ، يقول العلامة ابن جنى "فالناطق على قياس لغات
العرب مصيب غير مخطئ ، وإن كان غير ما جاء به خيراً منه" (٢)
ومن أمثلة القياس على النادر عند ابن قتيبة قوله : " أهل الحجاز
يقولون : " القُصوى" بالواو ، والقياس " القُصيًا " بالياء مثل العليا ،
وهو من علوت ، والدنيا من دنوت ، وهذا نادر خرج على
الأصل" (٣) .

١- البطليوسي ، الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب : ج ١ ص ٢٠ .

٢- ابن جنى ، الخصائص : ج ٢ ص ١٤ .

٣- أدب الكتاب : ص ٤٨٨ .

الخاتمة

وبعد... فلقد كان مفيدا بعد أن حاولنا بعون الله وتوفيقه إنجاز هذا البحث أن نستخلص النتائج الآتية:

١- يعد ابن قتيبة من العلماء الذين أثروا الفكر الإنساني بالعديد من المؤلفات النفيسة في مختلف علوم اللغة والنحو والحديث والتفسير والفقه والشعر، كلها تهدف إلي التعليم والإفادة ، فقد استهدف تعليم الجاهل ممن يدعون العلم ، وكشف المتطاولين على القيم الدينية ، وهم أجهل الناس بمكانتها.

٢- أنقذ ابن قتيبة ثقافة العصر الذي عاش فيه ، والمعارف المحيطة به من عربية وفارسية ويونانية وهندية ونبطية ، فاكتسبت تلك العقلية المنظمة التي جعلت كتبه ومؤلفاته تتسم بالاتزان .

٣- يعد ابن قتيبة أول من جمع بين مذهبي الكوفة والبصرة في النحو والصرف ، ولا يقوم بهذا العمل إلا من اتقن المذهبين وعرف الأصول التي تبني عليها العلل والمقاييس عند المدرستين.

٤- قدم ابن قتيبة الأدب الرفيع متمثلا في روائع الشعر وبلغ النثر بما يمكن أن نقول إنه صورة حية للحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية آنذاك ، ومن ثم عكس لنا أن قتيبة ثقافية عصره عن طريق تأثر الثقافة العربية بغيرها من الثقافات، وهو في كل هذا ينير الطريق أمام المتأدب ليروض نفسه على الأخذ بما فيها من سنة حسنة وسيرة قويمة وأدب كريم وخلق عظيم .

٥- عالج ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب داء قد استشري في لغة العرب هو داء اللحن والخطأ في الكلام، والذي يرجع إلي اختلاط العرب بغيرهم من الأمم الأخرى فنتج عن ذلك الاختلاط أن كثر اللحن وشاع الخطأ وتسربت العجمة .

٤- أن الأمر ليس أمر أبيات في قصيدة ، ولا هو أمر القصيدة نفسها ، وإنما هو أمر ارتعاشة الشاعر في اللحظة الحاسمة ، لحظة نورانية الخالق عندما يقف محلقة في سمائه الشعرية مبدلاً حاجته الراهنة بحقائق جوهرية.

٥- اتهم البعض ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب بالاقْتباس من ابن السكيت في كتابه إصلاح المنطق ، ولكنك — بقليل من النظر — تلحظ أن نماذجه المختارة من إصلاح المنطق أبسط ما يكون من أن تكون محور اتهام بالاقْتباس، لأن ابن قتيبة له اليد الطولي في معالجة العديد من الموضوعات التي أوردها ابن السكيت في ثنايا مؤلفه إصلاح المنطق، أضفي عليها ابن قتيبة منطوقية العالم العارف المتبحر في علوم اللغة، المتمسك بالمنهج الانتقائي وذلك من خلال دقة ملاحظاته، وقدرته على إدراك الفروق اللغوية البسيطة ، والتصنيف المبني على التقنين.

المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير، الكامل فى التاريخ ، دار صادر بيروت، ط ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.
- ٢- إسحاق موسى الحسينى "دكتور" ، حياة ابن قتيبة وأعماله ، ترجمه إلى العربية هاشم ياغى، بيروت، ط ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م
- ٣- الإشبلى ، فهرست مارواه عن شيوخه ، نشره : زیدین طرقيه، ط ٢ مطبعة طومس، سرقسطة ١٣٩٣ هـ .
- ٤- ابن الأنبارى ، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، د.ت.
- ٥- البطليوسى ، الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، تحقيق مصطفى السقا و د: حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج ١ ، ط ١٩٨١م، ج ٢ ، ج ٣ ط ١٩٨٢م.
- ٦- البغدادى ، تاريخ بغداد ، مطبعة الخانجى بالقاهرة ، ط ١٩٣١
- ٧- ابن تيمية ، تفسير سورة الإخلاص ، دارالطباعة المحمدية ، القاهرة ، د.ت.
- ٨- ابن جنى ، الخصائص ، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٣ ، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٥م.

- ٩- الجواليقى ، شرح أدب الكاتب ، ، تقديم مصطفى صادق الرافعى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
- ١٠- حاجى خليفة ، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، مطبعة البهية ، تركيا ط ١٩٤١م.
- ١١- ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة دار الشعب، القاهرة ، د.ت.
- ١٢- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د: إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ١٩٧٠م
- ١٣- الداوودى ،طبقات المفسرين ، تحقيق على محمد عمر ، القاهرة مطبعة الاستقلال الكبرى ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ - ١٩٧٣م.
- ١٤- الذهبى، تذكرة الحفاظ ،حيدر آباد الدكن ، الهند ، ط ١٣٢٣هـ
- ١٥- رمضان عبد التواب "دكتور" لحن العامة والتطور اللغوى القاهرة ، طبعة ١٩٦٧م
- ١٦- ابن السكيت ، إصلاح المنطق ، تحقيق "أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط ٤ ، ١٩٤٩م
- ١٧- السمعانى ، الأنساب ، تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى ، طبعة حجرية ، ليدن ، ط ١٩١٢م.

١٨- السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، مطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

١٩- السيوطى ، المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين مكتبة دار التراث ، القاهرة ط ٣، د.ت

٢٠- الطاهر مكي "دكتور" دراسة فى مصادر الأدب ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ م.

٢١- الطهطاوى ، مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٤ م

٢٢- عبد الحميد سند الجندى "دكتور" ابن قتيبة العالم الناقد الأديب، سلسلة أعلام أعلام العرب (٢٢) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت

٢٣- العسقلانى ، لسان الميزان ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ط ١٠، ١٣٣٠ هـ

٢٤- ابن قاضى شهبه ، طبقات النحاة ، مخطوط بدار الكتب المصرية .

٢٥- ابن قتيبة ، أدب الكاتب ، تحقيق وشرح محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، دار الجيل، بيروت ، ط ٤، ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م

- ٢٦- ابن قتيبة ، الأنواء ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ،
حيدر آباد الدكن ، الهند ط ١ ، ١٩٥٦ - ١٩٧٥
- ٢٧- ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، تحقيق محمد زهرى ،
المكتبة التجارية ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١٩٧٣ م
- ٢٨- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ،
المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠١ هـ =
١٩٨١ م
- ٢٩- ابن قتيبة ، تلقين المتعلم من النحو ، تحقيق د: جمال عبد
العاطى مخيمر ، مطبعة وهبة حسان ، بالقاهرة ، ط ١ ،
١٤٠٩ هـ = ١٩٨١ م.
- ٣٠- ابن قتيبة ، الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ،
مطبوع ضمن منشورات مكتبة المقديسى بالقاهرة ، د.ت.
- ٣١- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار
المعارف ، ط ١٩٥٠ م ، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م
- ٣٢- ابن قتيبة ، غريب الحديث ، تحقيق د: عبدالله الجبورى ،
العراق ، وزارة الأوقاف ، مطبعة العانى ، ط ١٣٩٧ م =
١٩٧٧
- ٣٣- ابن قتيبة ، غريب القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مطبعة
دار الكتب العربية ، بيروت ، ط ١٣٩٨ هـ = ١٩٧٨ م

- ٣٤- ابن قتيبة ، المسائل والأجوبة فى الحديث واللغة ، مكتبة
المقديسى بالقاهرة ، ط ١٩٤٩م
- ٣٥- ابن قتيبة ، المعانى الكبير ، مراجعة د: كرنكو ، حيدر آباد
الدكن، الهند ، ط ١٣٦٨ هـ
- ٣٦- ابن قتيبة ، الميسر والقداح ، تحقيق محب الدين الخطيب ط
١٣٤٣هـ
- ٣٧- القفطى ، إنباه الرواة على أبناء النحاة ، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ١ ،
١٩٥٠م - ١٩٧٣م
- ٣٨- كارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، ترجمة د : عبد
الحميد النجار ، دار المعارف ، د.ت
- ٣٩- ابن كثير ، البداية والنهاية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، د.ت.
- ٤٠- ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة بولاق ، ١٣٠٠هـ-١٣٠٧ هـ
- ٤١- ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت
- ٤٢- اليافعى ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، منشورات الأعلمى
للمطبوعات، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠
- ٤٣- ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، دار صادر بيروت ، د.ت

• المجالات والدوريات العلمية

- مجلة المورد البغدادى ، العدد الرابع ، سنة ١٩٧٤م

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	المبحث الأول: ترجمة ابن قتيبة
٩	أولاً: ابن قتيبة اسمه ونسبه
١١	ثانياً: موله ونشأته
١٢	ثالثاً: وفاته
١٤	رابعاً: شيوخه
١٧	خامساً: ثقافته
١٩	سادساً: مكانته العلمية
٢١	سابعاً: اتصاله بالخلفاء
٢٢	ثامناً : أشعاره
٢٤	تاسعاً : وفاته
٢٨	المبحث الثاني: آثاره ومؤلفاته " رؤية نقدية"
٢٨	أدب الكاتب
٣٢	أسلوبه في أدب الكاتب
٣٣	أهمية دراسة أدب الكاتب

٣٤	الهدف من تأليفه أدب الكاتب
٣٦	تأويل مشكل القرآن الكريم
٣٧	غريب القرآن
٣٨	الشعر والشعراء
٣٨	ضروب الشعر عند ابن قتيبة
٤٣	عيون الأخبار
٤٤	كتاب السلطان
٤٧	كتاب الحرب
٤٩	كتاب السؤدد
٥٢	كتاب الطبائع والأخلاق
٥٧	كتاب العلم
٦٠	كتاب الزهد
٦١	كتاب الإخوان
٦٣	كتاب الحوائج
٦٧	كتاب الطعام
٧٠	كتاب النساء
٧٤	المعاني الكبير

٧٤	ما الذي يضمه بين دفتيه؟
٧٥	غريب الحديث
٧٥	تأويل مختلف الحديث
٧٦	المعارف
٧٧	الأنواء
٧٧	الميسر والقداح
٧٨	المسائل والأجوبة في الحديث واللغة
٨٣	الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة
٧٩	تلقين المتعلم من النحو
٨١	كتب أخرى لابن قتيبة
٨٢	المبحث الثالث : بين أدب الكاتب وإصلاح المنطق
٩٩	الخاتمة
١٠١	المصادر والمراجع
١٠٦	الفهرس